

فصص حق و بآ صدق و موعظة يرندع بها الكافرون و ذكرى يتذكر بها المؤمنون
﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا نَعْمَلُونَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾
يقول تعالى أمرا رسوله أن يقول للذين لا يؤمنون بما جاء به من ربه على وجه التهديد (اعملوا على مكاتبكم) أى
على طريقتهنكم ومنهجكم (إننا عاملون) أى على طريقتنا ومنهجنا (وانظروا إننا منتظرون) أى (فسنعلمون من تكون له
عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون) وقد أنجز الله رسوله وعده وصره وأيده وجعل كلمته هى العليا وكلمة الذين كفروا
السفلى والله عزيز حكيم

﴿ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

نجبر تعالى أنه عالم غيب السموات والأرض وأنه إليه المرجع والمآب ، وسيؤتى كل عامل عمله يوم الحساب ، فله
الخلق والأمر ، فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه . فإنه كاف من توكل عليه وأتاب إليه ، وقوله (وما ربك بغافل عما
تعملون) أى ليس يخفى عليه ما عليه مكذبوك يا محمد بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم وسيجزئهم على ذلك أتم الجزاء فى
الدنيا والآخرة وسينصرك وحزبك عليهم فى الدارين ، وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب عن جعفر
ابن سليمان عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن رباح عن كعب قال خاتمة التوراة خاتمة هود

﴿ تم تفسير سورة هود ﴾

﴿ تفسير سورة يوسف عليه السلام هو مكية ﴾

روى الثعلبي وغيره من طريق سلام بن سليم ويقال سلم المدائني وهو متروك عن هارون بن كثير وقد نص على
جهالته أبو حاتم عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « علموا
أرقام سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها أو علمها أهله أو ما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه من القوة
أن لا يحسد مسلماً » وهذا من هذا الوجه لا يصح لضعف إسناده بالكاتب ، وقد ساقه الحافظ ابن عساكر متابعا
من طريق القاسم بن الحكم عن هارون بن كثير به ومن طريق شباة عن محمد بن عبد الواحد النضري عن علي
ابن زيد بن جدعان ، وعن عطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر
نحوه وهو منكر من سائر طرقه ، وروى البهقي فى الدلائل أن طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله ﷺ يتلو هذه السورة
أسلموا لموافقها ما عندهم وهو من رواية الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الرَّتِلِكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ
أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم فى أول سورة البقرة وقوله (تلك آيات الكتاب) أى هذه آيات الكتاب
وهو القرآن المبين أى الواضح الجلى الذى يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرهما وبينها (إننا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم
تعقلون) وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التى تقوم بالنفوس فلهذا أنزل
أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة ، وكان ذلك فى أشرف بقاع الأرض ،
وابتدىء إنزاله فى أشرف شهور السنة وهور رمضان ، فأكمل من كل الوجوه ، ولهذا قال تعالى (نحن نقص عليك أحسن
القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) بسبب إيجامنا إليك هذا القرآن ، وقد ورد فى سبب نزول هذه الآية

مارواه ابن جرير حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي حدثنا حكام الرازي عن أيوب عن عمرو بن قيس الملائي عن ابن عباس قال : قالوا يا رسول الله صلى الله عليك وسلم لو قصصت علينا ؟ فنزلت (نحن نقص عليك أحسن القصص) ورواه من وجه آخر عن عمرو بن قيس مرسلًا . وقال أيضا حدثنا محمد بن سعيد القطان حدثنا عمرو بن محمد أنبأنا خالد الصفار عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن قال فنلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا ؟ فأنزل الله عز وجل (الر تلك آيات الكتاب المبين) إلى قوله (لعلمكم تعقلون) ثم تلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل (الله نزل أحسن الحديث) الآية وذكر الحديث ، ورواه الحاكم من حديث إسحق بن راهويه عن عمرو بن محمد القرشي المنقري به ، وروى ابن جرير بسنده عن السعدي عن عون بن عبد الله قال مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا : يا رسول الله حدثنا فأنزل الله (الله نزل أحسن الحديث) ثم ملوا ملة أخرى فقالوا يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن يعنون القصص - فأنزل الله عز وجل (الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) * نحن نقص عليك أحسن القصص (الآية فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث ، وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص . وبما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشتملة على مدح القرآن ، وأنه كاف عن كل ماسواه من الكتب مارواه الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان أنا هشيم أنبأنا مجاهد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقراه على النبي ﷺ قال فغضب وقال «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد حثتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو يبطل فتصدقونه ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني» وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنا سفيان عن جابر عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك ؟ قال فغير وجه رسول الله ﷺ ، قال عبد الله بن ثابت فقلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا ، وبمحمد رسولا ، قال فسرى عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال «والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضلالم ، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين» وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبد الغفار بن عبد الله بن الزبير حدثنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق عن خليفة بن قيس عن خالد بن عرفطة قال كنت جالسا عند عمر إذ أتى رجل من عبد القيس مسكته بالسوس فقال له عمر : أنت فلان بن فلان العبدى ؟ قال نعم ، قال وأنت النازل بالسوس ؟ قال نعم ، فضربه بقناة معه ، قال فقال الرجل مالي يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر اجلس فجلس فقرا عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) * آكر * تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص - إلى قوله - لمن الغافلين) فقراها عليه ثلاثا وضره ثلاثا فقال له الرجل مالي يا أمير المؤمنين ؟ فقال أنت الذي نسخت كتاب دانيال ، قال مرني بأمرك أتبعه ، قال انطلق فاحبه بالحلم والصوف الأبيض ثم لا تقرأه ولا تقرئه أحدا من الناس فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحدا من الناس لأنهكك عقوبة ثم قال اجلس فجلس بين يديه ، فقال انطلقت أنا فانتسخت كتابا من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم فقال لي رسول الله ﷺ : « ماهذا في يدك يا عمر ؟ » قال قلت يا رسول الله كتاب نسخته لزداد به علما إلى علمنا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه ثم نودي بالصلاة جامعة فقالت الأنصار أغضب نبيكم صلى الله عليه وسلم السلاح السلاح ، فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال « يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه ، واختصر لي اختصارا ، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تمهكوا ولا يعرنكم التهوكون » قال عمر فقامت فقلت رضيت بالله ربا وبالإسلام ديننا ، وبك رسولا . ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره مختصرا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق به وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وعبد الرحمن بن إسحاق هو أبو شيبه الواسطي وقد

ضعفوه وشيخه . قال البخارى لا يصح حديثه ، قلت وقد روى له شاهد من وجه آخر فقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الاسماعيلي أخرنى الحسن بن سفيان حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي حدثني عمرو بن الحارث حدثنا عبد الله بن سالم الأشعري عن الزبيدي حدثنا سلم بن عامر أن جبير بن نفير حدثهم أن رجلين كانا بمحصر في خلافة عمر رضى الله عنه فأرسل إليهما فيمن أرسل من أهل حمص وكانا قد اكتتبا من اليهود صلاصة فأخذاهما معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين يقولون : إن رضى لنا أمير المؤمنين ازددنا فيها رغبة . وإن نهانا عنها رفضناها ، فلما قدما عليه قالوا إنا بأرض أهل الكتاب وإنا نسمع منهم كلاما تقشعر منه جلودنا أفأخذ منه أو ترك ؟ فقال لعلكما كتبتما منه شيئا فقالا : لا ، قال سأحدثكما : انطلقت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتيت خير فوجدت يهوديا يقول قولا أعجبنى فقلت : هل أنت مكتبي مما تقول ، قال نعم فأتيت بأديم فأخذ بملى على حتى كتبت في الأكرع فلما رجعت قلت يانبي الله وأخبرته قال « اثنتى به » فانطلقت أرغب عن الشيء رجاء أن أكون حثت رسول الله ببعض ما يحب ؛ فلما أتيت به قال « اجلس اقرأ على » فقرأت ساعة ثم نظرت إلى وجه رسول الله ﷺ فاذا هو يتلون فتحيرت من الفرق فما استطعت أن أجيزه حرفا ، فلما رأى النبي بي رفعه ثم جعل يتبعه رسما رسما فيمحوه بريقه وهو يقول « لا تتبعوا هؤلاء فانهم قد هوكوا وتهوكوا » حتى مح آخره حرفا حرفا : قال عمر رضى الله عنه فلو علمت أنسكا كتبتما منه شيئا جعلتكما نكالا لهذه الأمة ، قالوا والله ما نكتب منه شيئا أبدا فخرجا بصلاصتهما فحضر لهما فلم يألوا أن يعمقا ودفساها فكان آخر العهد منها ، وهكذا روى الثوري عن جابر بن يزيد الجعفي عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت الأنصاري عن عمر بن الخطاب بنحوه ، وروى أبو داود في المراسيل من حديث أبي قلابة عن عمر بنحوه والله أعلم

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾

يقول تعالى اذ ذكر لقومك يا محمد في قصصك عليهم من قصة يوسف اذ قال لأبيه ، وأبوه هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام كما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « الكرم ابن الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم » انفرد بإخراجه البخارى فرواه عن عبد الله بن محمد عن عبد الصمد به ، وقال البخارى أيضا حدثنا محمد أنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ أى الناس أكرم ؟ قال « أكرمهم عند الله أتقاهم » قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال « فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله » قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال « فعن معادن العرب تسألونى ؟ » قالوا نعم قال « فخيركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام اذا قهوا » ثم قال تابعه أبو أسامة عن عبيد الله . وقال ابن عباس رؤيا الأنبياء وحى ، وفد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام أن الأحد عشر كوكبا عبارة عن اخوته وكانوا أحد عشر رجلا سواه ، والشمس والقمر عبارة عن أمه وأبيه . روى هذا عن ابن عباس والضحاك وقتادة وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة وقيل ثمانين سنة وذلك حين رفع أبويه على العرش وهو سريره وإخوته بين يديه (وخرأ له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا) وقد جاء فى حديث تسمية هذه الأحد عشر كوكبا فقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثني علي بن سعيد الكندي حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال : أى النبى ﷺ رجل من يهود يقال له بستانة اليهودى فقال له : يا محمد أخبرني عن الكواكب التى رآها يوسف أنها ساجدة له ما أسماؤها ؟ قال فسكت النبى ﷺ ساعة فلم يجبه بشيء ونزل عليه جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها قال فبعث رسول الله ﷺ إليه فقال « هل أنت مؤمن إذا أخبرتك بأسمائها ؟ » فقال نعم قال « جريان ، والطارق والديال ، وذوالكفات (١) ، وقابس ، ووثاب ، وعمودان ، والفليق ، والمصبح ، والضروح وذوالفرغ (٢) والضياء والنور (٣) » فقال اليهودى : إى والله إنها لأسماؤها . ورواه البيهقى فى الدلائل من حديث سعيد بن منصور عن الحكم بن ظهير . وقد روى

(١) فى النسخة الأميركية : ذوالكفتين . (٢) وفيها : والفرغ . (٣) الضياء والنور ، زيادة فى النسخة المكية .

هذا الحديث الحافظان أبو يعلى الموصلى وأبو بكر البرار في مسديهما ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، أما أبو يعلى فرواه عن أربعة من شيوخه عن الحكم بن ظهير به وزاد : قال رسول الله ﷺ « لما رآها يوسف قصها على أبيه يعقوب فقال له أبوه هذا أمر مشتمت يجمعه الله من بعد ، - قال - والشمس أبوه والقمر أمه » تفرد به الحكم بن ظهير الفزارى وقد ضعفه الأئمة وتركه الأكثرون وقال الجوزجاني ساقط وهو صاحب حديث حسن يوسف ثم ذكر الحديث المروى عن جابر أن يهوديا سأل النبي ﷺ عن الكواكب التي رآها يوسف ما أسماؤها وأنه أجابه ثم قال تفرد به الحكم بن ظهير ، وقد ضعفه الأربعة

﴿ قَالَ يُدَبِّنِي لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قول يعقوب لابنه يوسف حين قص عليه ما رأى من هذه الرؤيا التي تعبيرها خضوع إخوته له وتعظيمهم إياه تعظما زائدا بحيث يخرون له ساجدين إجلالا واحتراما وإكراما فخشي يعقوب عليه السلام أن يحدث بهذا اللام أحدا من إخوته فيجسدونه على ذلك فيغفون له الغوائل حسدا منهم له ، ولهذا قال له (لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا) أى يحالوا لك حيلة يردونك فيها ، ولهذا ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ قال « إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث به وإذا رأى ما يكره فليتحول إلى جنبه الآخر وليتقل عن يساره ثلاثا وليسعد بالله من شرها ولا يحدث بها أحدا فانها لن نضره » . وفي الحديث الآخر الذى رواه الإمام أحمد وبعض أهل السنن من رواية معاوية بن حيدة (١) القشيري أنه قال : قال رسول الله ﷺ « الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر ، فاذا عبرت وقعت » ومن هذا يؤخذ الأمر بسكمان النعمة حتى توجد وتظهر كما ورد في حديث « استعينوا على قضاء الحوائج بسكمانها فان كل ذى نعمة محسود »

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قول يعقوب لولده يوسف إنه كما اختارك ربك وأراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك (كذلك يجتبيك ربك) أى يختارك ويصطفيك لنبوته (ويعلمك من تأويل الأحاديث) قال مجاهد وغير واحد بعبى تعبير الرؤيا (ويتم نعمته عليك) أى بارسالك والاحياء إليك ، ولهذا قال (كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم) وهو الخليل (وإسحاق) ولده وهو الذي يحق في قول وليس بالرجح (إن ربك عليهم حكيم) أى هو أعلم حيث يجعل رسالته كما قال في الآية الأخرى

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيْكُمُ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾

يقول تعالى لقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات للسائلين عن ذلك المستخبرين عنه فانه خبر عجيب يستحق أن يخبر عنه (إذا قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا) أى حلفوا فيما يظنون والله ليوسف وأخوه ، يعنون بنيامين وكان شقيقه لأمه (أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة) أى جماعة فكيف أحب ذاك الاثنين أكثر من الجماعة (إن أبانا لفي ضلال مبين) يعنون في تقديمهما علينا ، ومحبته إياها أكثر منا واعلم أنه لم يقد دليل على نبوه أخوة يوسف ، وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك ، ومن الناس من يزعم أنهم أوحى

إلهم بعد ذلك وفي هذا نظر ، ويحتاج مدعى ذلك إلى دليل ، ولم يذكر سوى قوله تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) وهذا فيه احتمال لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم الأسباط. كما يقال للعرب قبائل وللعجم شعوب ، يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل فذكرهم إجمالاً لأنهم كثيرون ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحى إليهم والله أعلم (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم) يقولون هذا الذي يراحمكم في محبة أبيكم لكم أعدموه من وجه أبيكم ليخلو لكم وحدكم إما بأن تقتلوه أو تلقوه في أرض من الأراضي تستريحوا منه وتخلوا أتم بأبيكم (وتكونوا من بعده قوماً صالحين) فأضمرنا التوبة قبل الذنب (قال قائل منهم) قال قتادة ومحمد بن إسحق : وكان أكبرهم واسمه روييل وقال السدي الذي قال ذلك يهوذا وقال مجاهد هو شععون الصفا (لا تقتلوا يوسف) أي لا تصلوا في عداوته وبغضه إلى قتله ، ولم يكن لهم سبيل إلى قتله لأن الله تعالى كان يريد منه أمراً لا بد من إمضائه وإتمامه من الإبقاء إليه بالنبوة ومن التمكين له ببلاد مصر والحكم بها فصر فهم الله عنه بمقالة روييل فيه وإشارته عليهم بأن يلقوه في غيابة الجب وهو أسفله . قال قتادة وهي بئر بيت المقدس (يلتقطه بعض السيارة أي المارة من المسافرين فتستريحوا منه بهذا ولا حاجة إلى قتله) (إن كنتم فاعلين) أي إن كنتم عازمين على ما تقولون . قال محمد بن إسحق بن يسار : لقد اجتمعوا على أمر عظيم من فطيرة الرحم وعقوق الوالد وقلة الألفة بالصغير الضرع الذي لا ذنب له وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل وخطره عند الله مع حق الوالد على ولده ليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه على كبر سنه ورقة عظمه مع مكانه من الله ممن أحبه طفلاً صغيراً وبين ابنه على ضعف قوته وصغر سنه وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه يغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين فقد احتملوا أمراً عظيماً رواه ابن أبي حاتم من طريق سلمة بن الفضل عنه

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ * أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَكَاظِمُونَ ﴾

لما تواطأوا على أخذه وطرحه في البئر كما أشار به عليهم أخوهم الكبير روييل جاءوا أباهم يعقوب عليه السلام فقالوا ما بالك (لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون) وهذه توطئة ودعوى وهم يريدون خلاف ذلك لما له في قلوبهم من الحسد لحب أبيه له (أرسله معنا) أي ابنته معنا (غدا يرتع ويلعب) قال ابن عباس يسعى وينشط وكذا قال قتادة والضحاك والسدي وغيرهم (وإنا له لحافظون) يقولون ونحن نحفظه ونحوطه من أهلك

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن نبيه يعقوب أنه قال لبنيه في جواب ما سألوا من إرسال يوسف معهم إلى الرعي في الصحراء (إن ليحزنني أن تذهبوا به) أي يشق على مفارقتهم مدة ذهابكم به إلى أن يرجع وذلك لفرط محبته له لما يتوسم فيه من الخير العظيم وشمائل النبوة والكمال في الخلق والخلق صلوات الله وسلامه عليه . وقوله (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) يقول وأخشى أن تشغلوا عنه برميكم ورعيكم فيأكله ذئباً كآكله وأنتم لا تشعرون ، فأخذوا من فم هذه الكلمة وجعلوها عندهم فيما فعلوه وقالوا مجيبين له عنها في الساعة الراهنة (لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون) يقولون لئن عدا عليه الذئب فأكله من بيننا ونحن جماعة إنا إذا لها لكون عاجزون

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

يقول تعالى فلما ذهب به إخوته من عند أبيه بعد مراجعتهم له في ذلك (وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) هذا فيه تعظيم لما فعلوه أنهم اتفقوا كلهم على إلقائه في أسفل ذلك الجب وقد أخذوه من عند أبيه فيما يظهرونه له إكراماً له وبسطاً وشرحاً لصدرة وإدخالاً للسرور عليه فيقال إن يعقوب عليه السلام لما بعثه معهم ضمه إليه وقبله ودعا له. فذكر السدى وغيره أنه لم يكن بين إكرامهم له وبين إظهار الأذى له إلا أن غابوا عن عين أبيه وتواروا عنه ثم شرعوا يؤذونه بالقول من شتم ونحوه والفعل من ضرب ونحوه ثم جاءوا به إلى ذلك الجب الذي اتفقوا على رميه فيه فربطوه بحبل ودلوه فيه فكان إدالجاً إلى واحد منهم لطمه وشتمه وإذا تشبث بحافات البئر ضربوا على يديه ثم قطعوا به الحبل من نصف المسافة فسقط في الماء فغمره فصدع إلى صخرة تكون في وسطه يقال لها الراغوفة فقام فوقها وقوله (وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) يقول تعالى ذاكراً لطفه ورحمته وعائده وانزاله اليسر في حال العسر إنه أوحى إلى يوسف في ذلك الحال الضيق تطيباً لقلبه وتثبيتاً له إنك لا تحزن بما أنت فيه فإن لك من ذلك فرجا ومخرجا حسنا وسينصرك الله عليهم ويعليك ويرفع درجاتك وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع وقوله (وهم لا يشعرون) قال مجاهد وقتاده (وهم لا يشعرون) بإيحاء الله إليه وقال ابن عباس ستنبئهم بصنيعهم هذا في حقاك وهم لا يعرفونك ولا يستشعرون بك كما قال ابن جرير حدثني الحارث بن عاصم بن عبد العزيز ثنا صدقة بن عباد الأسدي عن أبيه سمعت ابن عباس يقول: لما دخل إخوة يوسف عليه فعرفهم وهم له منكرون قال جيء بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف يدينه دونكم وأنكم اطلقتم به فألقتموه في غيابة الجب قال ثم نقره فطن قال فأتيتم أباكم فقلتم إن الذئب أكله وحشم على قميصه بدم كذب قال فقال بعضهم لبعض إن هذا الجام ليخبره بخبركم قال ابن عباس رضي الله عنهما فلا يرى هذه الآية نزلت إلا فيهم لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴿ وَجَاءَهُمْ عِشَاءٌ يَبْكُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّاتْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ بِهِ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن الذي اعتمده إخوة يوسف بعدما ألقوه في غيابة الجب أنهم رجعوا إلى أبيهم في ظلمة الليل ليكون وبظهور الأسف وللحزع على يوسف وتغممون لأبيهم وقالوا معتذرين عما وقع فيما زعموا (إنا ذهبنا نستقي) أي تترامى (وتركنا يوسف عند متاعنا) أي ثيابنا وأمتعنا (فأكله الذئب) وهو الذي كان قد جزع منه وحذر عليه وقوله (وما أنت مؤمن لنا ولو كنا صادقين) تلتطف عظيم في تقرير ما يحاولونه يقولون ونحن نعلم أنك لا تصدقنا والحالة هذه لو كنا عندك صادقين فكيف وأنت تهتمنا في ذلك لأنك خشيت أن يأكله الذئب فأكله الذئب فأنت معذور في تكذيبك لنا للرابية ما وقع وعجيب ما اتفق لنا في أمرنا هذا (وجاءوا على قميصه بدم كذب) أي مكذوب مفترى وهذا من الأفعال التي يؤكدون بها ما تمالأوا عليه من المكيدة وهو أنهم عمدوا إلى سخلة فيما ذكره مجاهد والسدى وغير واحد فذبحوها ولطخوا ثوب يوسف بدمها موهمين أن هذا قميصه الذي أكله فيه الذئب وقد أصابه من دمه ولكنهم نسوا أن مخرقوه فلماذا لم يرج هذا الصبيح على نبي الله يعقوب بل قال لهم معرضاً عن كلامهم إلى ما وقع في نفسه من لبسهم عليه (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل) أي فسأصبر صبياً جميلاً على هذا الأمر الذي اتفقتم عليه حتى يفرجه الله بعونه ولطفه (والله المستعان على ما تصفون) أي على ما تذكرون من الكذب والحال وقال الثوري عن سماك عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (وجاءوا على قميصه بدم كذب) قال لو أكله السبع لخرق القميص وكذا قال الشعبي والحسن وفنادة وغير واحد وقال مجاهد الصبر الجميل الذي لا جزع فيه وروى هشيم عن عبد الرحمن بن يحيى عن حبان بن أبي حبله قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله (فصبر جميل) فقال صبر لا شكوى فيه، وهذا مرسل. وقال عبد الرزاق قال الثوري عن بعض أصحابه أنه قال ثلاث من الصبر: أن لا يحدث

بوجهك ولا بمصيبتيك ، ولا تزكي نفسك ، وذكر البخاري ههنا حديث عائشة في الافك حتى ذكر قولها والله لا أجدلى ولكم مثالا إلا كما قال أبو يوسف (فصر جميل والله المستعان على ما تصفون)

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَعَّةٍ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ وَشَرُّهُ بِشْمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿

يقول تعالى مخبرا عما جرى ليوسف عليه السلام في الجب حين ألقاه إخوته وتركوه في ذلك الجب وحيدا فريدا فمكث عليه السلام في البئر ثلاثة أيام فيما قاله أبو بكر بن عياش ، وقال محمد بن إسحق لما ألقاه إخوته في البئر جلسوا حول البئر يومهم ذلك ينظرون ماذا يصنع وما يصنع به فساق الله له سيارة فنزلوا قريبا من تلك البئر وأرسلوا واردهم وهو الذي ينطلب لهم الماء فلما جاء ذلك البئر وأدلى دلوه فيها تشبث يوسف عليه السلام فيها فأخرجه واستبشر به وقال (يا بشري هذا غلام) وقرأ بعض القراء يا بشرى فزعم السدي أنه اسم رجل ناداه ذلك الرجل الذي أدلى دلوه معلما له أنه أصاب غلاما وهذا القول من السدي غريب لأنه لم يسبق إلى تفسير هذه القراءة بهذا إلا في رواية عن ابن عباس والله أعلم وإنما معنى القراءة على هذا النحو يرجع إلى القراءة الأخرى ويكون قد أضاف البشري إلى نفسه وحذف ياء الإضافة وهو يريد بها كما تقول العرب يا نفس اصبري ويا غلام أقبل بحذف حرف الإضافة ، ويجوز السكس حينئذ والرفع وهذا منه ، وتفسرها القراءة الأخرى يا بشرى والله أعلم ، وقوله (وأسروه بضاعة) أي وأسره الواردون من بقية السيارة وقالوا اشتريناه وتبضعناه من أصحاب الماء مخافة أن يشاركوهم فيه إذا علموا خبره قاله مجاهد والسدي وابن جرير هذا قول ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله (وأسروه بضاعة) يعني إخوة يوسف أسروا شأنه وكتموا أن يكون أخاهم وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته واختار البيهقي ذكره إخوته لو ارد القوم فنادى أصحابه (يا بشري هذا غلام) يباع فباعه إخوته وقوله (والله علم بما يعملون) أي علم بما يفعله إخوة يوسف ومشروه وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه ولكن له حكمة وقدر سابق فتترك ذلك لحضى ما قدره وقضاه (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) وفي هذا تعريض لرسوله محمد ﷺ وإعلام له بأنى عالم بأذى قومك لك وأنا قادر على الإنكار عليهم ولكي سأملئ لهم ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم كما جعلت ليوسف الحكم والعاقبة على إخوته . وقوله (وشروه بشمن بخس دراهم معدودة) يقول تعالى : وباعه إخوته بشمن قليل . قاله مجاهد وعكرمة ، والبخس : هو النقص كما قال تعالى (فلا يخاف بخسا ولا رهقا) أي اعتاض عنه إخوته بشمن دون قليل ومع ذلك كانوا فيه من الزاهدين أى ليس لهم رغبة فيه بل لو سألوه بلا شيء لأجابوا . قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : إن الضمير في قوله (وشروه) عائد على إخوة يوسف ، وقال قتادة بل هو عائد على السيارة لأن السيارة استبشروا به وأسروه بضاعة ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه فترجع من أراد إخوته لا أولئك السيارة لأن السيارة استبشروا به وأسروه بضاعة ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه فترجع من هذا أن الضمير في (وشروه) إما هو لإخوته وقيل المراد بقوله (بخس) الحرام ، وقيل الظلم وهذا وإن كان كذلك لكن ليس هو المراد هنا لأن هذا معلوم يعرفه كل أحد لأن ثمنه حرام على كل حال وعلى كل أحد لأنه نبي ابن نبي ابن خليل الرحمن فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم وإنما المراد هنا بالبخس الناقص أو الزيف أو كلاهما أى إنهم إخوته وقد باعوه ومع هذا باعوا تقص الأثمان ولهذا قال (دراهم معدودة) فمن ابن مسعود رضى الله عنه باعوه بعشرين درهما وكذا قال ابن عباس ونوف البكالى والسدي وقاتدة وعطية العوفي وزادوا قسما درهمين درهمين ، وقال مجاهد اثنتان وعشرون درهما ، وقال محمد بن إسحق وعكرمة أربعون درهما وقال الضحاك في قوله (وكانوا فيه من الزاهدين) وذلك أنهم لم يعلموا نبوته ومنزلته عند الله عز وجل ، وقال مجاهد لما باعوه جعلوا يتبعونهم ويقولون لهم استوثقوا منه لا يأتق حتى وقوه بمصر فقال : من يتاعنى وليبشر ؟ فاشتراه الملك وكان مسلماً

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾

يخبر تعالى بالطوافه بيوسف عليه السلام أنه قبض له الذي اشتراه من مصر حتى اعتنى به وأكرمه وأوصى أهله به وتوسم فيه الخير والصلاح فقال لامرأته (أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذ له ولداً) وكان الذي اشتراه من مصر عزيزها وهو الوزير بها . حدثنا العوفي عن ابن عباس وكان اسمه قطير ، وقال محمد بن إسحق اسمه اظفير بن رويح وهو العزيز وكان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العاليق قال واسم امرأته راعيل بنت رعايل ، وقال غيره اسمها زليخا ، وقال محمد بن إسحق أيضاً عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس كان الذي باعه بمصر مالك بن ذعر بن قريش بن عنقا بن مديان بن إبراهيم فأنعم الله عليه وقال أبو إسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود أنه قال : أفرس الناس ثلاثة : عزيز مصر حين قال لامرأته (أكرمى مثواه) والمرأة التي قالت لأبيها (يا أبت استأجره) الآية وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . يقول تعالى كما أتقنا يوسف من إخوته (كذلك مكنا ليوسف في الأرض) يعني بلاد مصر (ولعلمه من تأويل الأحاديث) قال مجاهد والسدى هو تعبير الرؤيا (والله غالب على أمره) أي إذا أراد شيئاً فلا يرد ولا يمانع ولا يخالف بل هو الغالب لما سواه ، قال سعيد بن جبير في قوله (والله غالب على أمره) أي فعال لما يشاء ، وقوله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يقول لا يدرون حكمته في خلقه وتلقفه وفعله لما يريد ، وقوله (ولما بلغ) أي يوسف عليه السلام (أشده) أي استكمل عقله وتم خله (آتيناه حكماً وعلماً) يعني النبوة انه حباه بها بين أولئك الأقسام (وكذلك نجزي المحسنين) أي انه كان محسناً في عمله عاملاً بطاعة الله تعالى ، وقد اختلف في مقدار المدة التي بلغ فيها أشده فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ثلاث وثلاثون سنة وعن ابن عباس بضع وثلاثون ، وقال الصحاح عشرون ، وقال الحسن أربعون سنة ، وقال عكرمة خمس وعشرون سنة ، وقال السدى ثلاثون سنة ، وقال سعيد بن جبير ثمانين سنة ، وقال الإمام مالك وربيع بن زيد بن أسلم والشعبي الأشد الحلم وقيل غير ذلك والله أعلم .

﴿ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَامَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه فراودته عن نفسه أي حاولته على نفسه ودعته إليها وذلك أنها أحبته حباً شديداً لجماله وحسنه وبهائه فحملها ذلك على أن تجملت له وغلقت عليه الأبواب ودعته إلى نفسها (وقالت هيت لك) فامتنع من ذلك أشد الامتناع و (قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي) وكانوا يطلقون الرب على السيد والكبير أي إن بعلك ربي أحسن مثواي أي منزلي وأحسن إلي فلا أقبله بالباحشة في أهله (إنه لا يفلح الظالمون) قال ذلك مجاهد والسدى ومحمد بن إسحق وغيرهم ، وقد اختلف القراء في قوله (هيت لك) فقراءه كثيرون بفتح الهاء وإسكان الياء وفتح التاء قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد معناها أنها تدعوه إلى نفسها ، وقال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس هيت لك تقول هلم لك وكذا قال زر بن حبيش وعكرمة والحسن وقتادة ، قال عمرو بن عبيد عن الحسن وهي كلمة بالسريانية أي عليك ، وقال السدى هيت لك أي هلم لك وهي بالقبطية ، وقال مجاهد : هي لغة عربية تدعوه بها ، وقال البخاري وقال عكرمة هبت لك أي هلم لك بالحوارنة . هكذا ذكره معلماً وقد

أسنده الإمام أبو جعفر بن جرير حدثني أحمد بن سهل الواسطي حدثنا قرة بن عيسى حدثنا النضر بن علي الجزري عن
عكرمة مولى ابن عباس في قوله (هيت لك) قال هلم لك قال : هي بالحورانية ، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام وكان
الكسائي يحكي هذه القراءة يعني هيت لك ويقول هي لغة لأهل حوران وقعت إلى أهل الحجاز ومعناها تعال ، وقال
أبو عبيدة سألت شيخا عالما من أهل حوران فذكر أنها لغتهم يعرفها واستشهد الإمام ابن جرير على هذه القراءة بقول
الشاعر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

أباغ أمير المؤمن * بن أذى العراق إذا أتينا إن العراق وأهله * عنق إليك فهيت هيتا

بقول فتعال واقترب ، وقرأ ذلك آخرون هتت لك بكسر الهاء والهمز وضم التاء بمعنى تهيات لك من قول القائل
هتت بالأمر أهى هتة ، ومن روى عنه هذه القراءة ابن عباس وأبو عبد الرحمن السلمى وأبو وائل وعكرمة وقتادة وكلهم
يفسرها بمعنى تهيات لك . قال ابن جرير وكان أبو عمرو والكسائي ينكران هذه القراءة ، وقرأ عبد الله بن إسحق هيت
بفتح الهاء وكسر التاء وهي غريبة ، وقرأ آخرون منهم عامة أهل المدينة هبت بفتح الهاء وضم التاء وألشد قول الشاعر :

ليس قومي بالأبعدين إذا ما * قال داع من العشيرة هيت

قال عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن الأعمش عن أبي وائل قال : قال ابن مسعود وسمع القراء سمعتهم متقار بين فاقراءوا كما علمتم
وإياكم والمنطع والاختلاف وإنما هو كقول أحدكم هلم وتعال . ثم قرأ عبد الله هيت لك فقال يا أبا عبد الرحمن إن ناسا يقرءونها
هيت قال عبد الله أن أقرأها كما علمت أحب إلي ، وقال ابن جرير حدثني ابن وكيع حدثنا ابن عيينة عن منصور عن أبي وائل
قال : قال عبد الله : هيت لك فقال له مسروق إن ناسا يقرءونها هيت لك فقال دعوني فأني أقرأ كما أقرئت أحب إلي وقال أيضا
حدثني الثني حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة عن شقيق عن ابن مسعود قال : هيت لك بنصب الهاء والتاء ولا تهمز ،
وقال آخرون هيت لك بكسر الهاء وإسكان الياء وضم التاء ، قال أبو عبيد معمر بن المثنى هتت لا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث بل
يخاطب الجميع بلفظ واحد فيقال هيت لك وهيت لكم وهيت لكذا وهيت لكذا وهيت لهن

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

الْمُخْلِصِينَ ﴾

اختلفت أقوال الناس وعباراتهم في هذا المقام ، وقد روى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وطائفة من
السلف في ذلك ما رواه ابن جرير وغيره والله أعلم ، وقيل المراد بهمها خطرات حديث النفس حكاه البغوي عن
بعض أهل التحقيق ثم أورد البغوي ههنا حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى : إذا هم عبدي بحسنة فكتبوها له حسنة فإن عملها فكتبوها له بعشر
أمثالها ، وإن هم بسيئة فلم يعملها فكتبوها حسنة فأنما تركها من جرائي فإن عملها فكتبوها بمثلها » وهذا
الحديث مخرج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة هذا منها ، وقيل هم بضر بها ، وقيل تمنأها زوجة وقيل هم بها لولا أن
رأى برهان ربه أي فلم يهزم بها ، وفي هذا القول نظر من حيث العربية حكاه ابن جرير وغيره ، وأما البرهان الذي
رآه فيه أقوال أيضا فعن ابن عباس وسعيد ومجاهد وسعيد بن جبيرة ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة وأبي صالح
والضحاك ومحمد بن إسحاق وغيرهم رأى صورة أبيه يعقوب عاضا على أصبعه بضمه وقيل عنه في رواية فضرب في صدر
يوسف . وقال العوفي عن ابن عباس رأى خيال الملك يعى سيده وكذا قال محمد بن إسحاق فيما حكاه عن بعضهم إنما هو
خيال قطفير سيده حين دنا من الباب

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي مودود سمعت من محمد بن كعب القرظي قال رفع يوسف
رأسه إلى سقف البيت فإذا كتاب في حائط البيت (لا تقرؤوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) وكذا رواه أبو معشر
المدني عن محمد بن كعب . وقال عبد الله بن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن أبي صخر قال سمعت القرظي يقول في البرهان

الذي رآه يوسف ثلاث آيات من كتاب الله (إن عليكم لحافظين) الآية وقوله (وما تكون في شأن) الآية وقوله (أمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) قال نافع سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظي وزاد آية رابعة (ولا تقر بوا الزنا) وقال الأوزاعي رأى آية من كتاب الله في الجدار تنهيه عن ذلك . قال ابن جرير والصواب أن يقال إنه رأى آية من آيات الله تزرجه عما كان هم به ، وجائز أن يكون صورة يعقوب وجائز أن يكون صورة الملك وجائز أن يكون مارآه مكتوبا من الزجر عن ذلك ولا حجة فاطمة على تعيين شيء من ذلك ، فالصواب أن يطلق كما قال الله تعالى وقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) أي كما أرياه برهانا صرفه عما كان فيه كذلك تقيه السوء والفحشاء في جميع أمورهِ (إنه من عبادنا الخاصين) أي من المحبتين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار صلوات الله وسلامه عليه

﴿ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ فَأَلَّتْ مَا جَزَأَهُ مِنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾

نجبر تعالى عن حالهما حين خرجا يستقمان إلى الباب يوسف هارب والمرأة تطلبه ليرجع إلى البيت ، فلحقته في أثناء ذلك فأمسكت بقميصه من ورائه فصدته فداً فظيماً يقال إنه سقط عنه واستمر يوسف هاربا ذاهبا وهي في إثره فألفيا سيدها وهو زوجها عند الباب فعند ذلك خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها وفالت لزوجها متصلة وقاذفة يوسف بدائها (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) أي فاحشة (إلا أن يسجن) أي يحبس (أو عذاب أليم) أي يضرب ضربا شديداً موجعا . فعند ذلك انتصر يوسف عليه السلام بالحق وتبرأ مما رمته به من الخيانة ، و (قال) بارا صادقا (هي راودني عن نفسي) وذكر أنها اتبعته تجذبه إليها حتى قادت قميصه (وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل) أي من قدامه (فصدقت) أي في قولها إنه راودها على نفسها لأنه يكون لما دعاها وأبت عليه دعوته في صدره فقدت قميصه فيضح ما قالت (وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) وذلك يكون كما وقع لما هرب منها وتطلبته أمسكت بقميصه من ورائه لترده إليها فقدت قميصه من ورائه ، وقد اختلفوا في هذا الشاهد هل هو صغير أو كبير ، على قولين لعلماء السلف فقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (وشهد شاهد من أهلها) قال ذو الحجة وقال الثوري عن جابر عن ابن أبي مابكة عن ابن عباس كان من خاصة الملك وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحق وعبرهم إنه كان رجلا ، وقال زيد بن أسلم والسدي كان ابن عمها ، وقال ابن عباس كان من خاصة الملك وقد ذكر ابن إسحق أن زليخا كانت بنت أخت الملك الريان بن الوليد وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (وشهد شاهد من أهلها) قال كان صيبا في المهدوكمداروي عن أبي هريرة وهلال بن يسافد والحسن وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم أنه كان صيبا في الدار واختاره ابن جرير وقد ورد فيه حديث مرفوع فقال ابن جرير حدثنا الحسن بن محمد حدثنا عفان حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرني عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تكلم أربعة وهم صغار » فذكر فيهم شاهد يوسف ورواه غيره عن حماد بن سلمة عن عطاء بن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال « تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف وصاحب حريج وعيسى بن مريم » وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد كان من أمر الله تعالى ولم يكن

إنسيا وهذا قول غريب وقوله (فلما رأى قميصه قد من دبر) أى لما تحقق زوجها صدق يوسف وكذبها فاقذفته وورمته به (قال إنه من كيدكن) أى إن هذا الهبت واللطخ الذى لطخت عرض هذا الشاب به من جملة كيدكن (إن كيدكن عظيم) ثم قال أمرا ليوسف عليه السلام بكنان ما وقع (يوسف أعرض عن هذا) أى اضرب عن هذا صفحا أى فلا تذكره لأحد (واستغفرى لذنوبك) يقول لامرأته وقد كان لين العريكة سهلا أو أنه عذرها لأنها رأت مالا صبر لها عنه فقال لها استغفرى لذنوبك أى الذى وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب ثم قذفه بما هو برىء منه (إنك كنت من الخاطئين)

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مَتَكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِن هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتِ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَيَكُونًا مِّنَ الصَّغِيرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

يخبر تعالى أن خبر يوسف وامرأة العزيز شاع في المدينة وهي مصر حتى يحدث به الناس (وقال نسوة في المدينة) مثل نساء الكبراء والأمراء ينكرون على امرأة العزيز وهو الوزير ويعين ذلك عليها (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) أى تحاول غلامها عن نفسه وتدعوه إلى نفسها (قد شغفها حبا) أى قد وصل حبه إلى شغاف قلبها وهو غلافه قال الضحاك عن ابن عباس: الشغف الحب القاتل والشغف دون ذلك والشغاف حجاب القلب (إنا لراها في ضلال مبين) أى في صنعها هذا من حبا فتاها ومرادتها إياه عن نفسه (فلما سمعت بمكرهن) قال بعضهم بقولهن ذهب الحب بها وقال محمد بن إسحق بل بلغهن حسن يوسف فأحببن أن يرينه فقلن ذلك ليتوصلن إلى رؤيته ومشاهدته فعند ذلك (أرسلت إليهن) أى دعتهن إلى منزلها لتضيفهن (وأعدت لهن متكئا) قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن والسدى وغيرهم هو المجلس المعد فيه مفارش ومخاد وطعام فيه ما يقطع بالسكاكين من أترج ونحوه ولهذا قال تعالى (وآتت كل واحدة منهن سكيينا) وكان هذا مكيدة منها ومقابلة لهن في احتياهن على رؤيته (وقالت اخرج عليهن) وذلك أنها كانت قد خبأته في مكان آخر (فلما) خرج (رأينه أكبرنه) أى أعظمه أى أشأنه وأجلن قدره وجعلن يقطعن أيديهن دهشا برؤيته وهن يظنن أنهم يقطعن الأترج بالسكاكين والمراد أنهم حزنن أيديهن بها قاله غير واحد وعن مجاهد وقناة قطعن أيديهن حتى ألقينها فأنه أعلم . وقد ذكر غير واحد أنها قالت لهن بعدما أكلن وطابت أنفسهن ثم وضعت بين أيديهن أترجا وآتت كل واحد منهن سكيينا هل لكن في النظر إلى يوسف ؟ قلن نعم فبعثت إليه تأمره أن اخرج إليهن فلما رأينه جعلن يقطعن أيديهن ثم أمرته أن يرجع ليرينه مقبلا ومدبرا فرجع وهن يحزنن في أيديهن فلما أحسنن بالألم جعلن يولولن فقالت أنن من نظرة واحدة فعلت هذا فكيف ألام أنا ؟ (فقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) ثم قلن لها وما نرى عليك من لوم بعد هذا الذى رأينا ، لأنهن لم يرين في البشر شيئا ولا قريبا منه فانه عليه السلام كان قد أعطى شطر الحسن كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح في حديث الاسراء أن رسول الله ﷺ مر بيوسف عليه السلام في السماء الثالثة قال « فاذا هو قد أعطى شطر الحسن » وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله « أعطى يوسف وأمه شطر الحسن » وقال سفيان الثوري عن أبي إسحق عن أنى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن ، وقال أبو إسحق

أيضا عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : كان وجه يوسف مثل البرق وكانت المرأة إذا أتته لحاجة غطى وجهه مخافة أن تفتتن به ورواه الحسن البصرى مرسلا عن النبي ﷺ أنه قال « أعطى يوسف وأمه نكاح حسن أهل الدنيا ، وأعطى الناس الثلاثين » أو قال « أعطى يوسف وأمه الثلاثين والناس الثلاث » وقال سفيان عن منصور عن مجاهد عن ربيعة الحرثي قال : قسم الحسن نصفين فأعطى يوسف وأمه سارة نصف الحسن . والنصف الآخر بين سائر الخلق . وقال الإمام أبو القاسم السهيلي معناه أن يوسف عليه السلام كان على النصف من حسن آدم عليه السلام فإن الله خلق آدم بيده على أكمل صورة وأحسنها ولم يكن في ذريته من يوازيه في جماله وكان يوسف قد أعطى شطر حسنه فلهذا قال هؤلاء النسوة عند رؤيته (حاش لله) قال مجاهد وغير واحد معاذ الله (ما هذا بشرا) وقرأ بعضهم ما هذا بشرى أى بمشترى بشراء (إن هذا إلا ملك كريم * قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) تقول هذا معتذرة اليهن بأن هذا حقيق أن يحب لجماله وكجالة (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أى فامتنع قال بعضهم لما رأين جماله الظاهر أخبرتني بصفاته الحسنة التى نخفى عنهن وهى العفة مع هذا الجمال ثم قالت تتوعده (ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) فعند ذلك استعاذ يوسف عليه السلام من شرهن وكيدهن (وقال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه) أى من الفاحشة (وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن) أى إن وكلتنى إلى نفسى فليس لى منها قدرة ولا أملك لها ضرا ولا نفعا إلا بحولك وقوتك أنت المستعان وعليك التكلان فلانكلى إلى نفسى (أصب إليهن وأكن من الجاهلین فاستجاب له ربه) الآية ، وذلك أن يوسف عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها أشد الامتناع واختار السجن على ذلك وهذا فى غاية مقامات الكمال أنه مع شبا به وجماله وكجالة تدعوه سيدته وهى امرأة عزيز مصر وهى مع هذا فى غاية الجمال والمال والرياسة ويمتنع من ذلك ويختار السجن على ذلك خوفا من الله ورجاء ثوابه

ولهذا ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله . ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه . ورحلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال إلى أخاف الله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه »

﴿ ثُمَّ بَدَأ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجْنَهُ حَتَّى حِينٍ ﴾

يقول تعالى ثم ظهر لهم من المصلحة فيما رأوه أنهم يسجنوه إلى حين أى إلى مدة وذلك بعد ما عرفوا براءته وظهرت الآيات وهى الأدلة على صدقه فى عفته ونزاهته وكأنهم والله أعلم إنما سجنوه لما شاع الحديث إيهما أنه راودها عن نفسها وأنهم سجنوه على ذلك . ولهذا لما طلبه الملك الكبير فى آخر المدة امتنع من الخروج حتى تتبين براءته مما نسب إليه من الخيانة . فلهذا انقرر ذلك خرج وهو نقي العرض صلوات الله عليه وسلامه . وذكر السدى أنهم إنما سجنوه للإشيع ما كان منها فى حقه ويبرأ عرضه فيفضحها

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُجْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

قال قتادة كان أحدهما ساقى الملك والآخر خبازه . قال محمد بن إسحق كان اسم الذى على الشراب نبوا والآخر مجملث . قال السدى كان سبب حبس الملك إيهما أنه نوهم أنهما تمالآ على سبه فى طعامه وشرابه وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر فى السجن بالجود والأمانة وصدق الحديث وحسن السمات وكثرة العبادة صلوات الله عليه وسلامه . ومعرفة التعبير والإحسان إلى أهل السجن وعبادة مرضاهم والقيام بحقوقهم . ولما دخل هذان التيان إلى السجن تألفا به وأحباها حبا شديدا وقالوا له : والله لقد أحبيناك حبا زائدا . قال بارك الله فيكما إنه ما أحبنى أحد إلا دخل على من محبته

ضرر ، أحببتني عمقي فدخل على الضرر بسببها ، وأحبنى أبي فأوذيت بسببه ، وأحبتني امرأة العزيز فكذلك ، فقلا والله ما نستطيع إلا ذلك ، ثم إنهما رأيا مناما فرأى الساقى أنه يعصر خمرًا يعنى عنبا وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود إنى أرانى أعصر عنبا ، ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن يزيد بن هرون عن شريك عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود أنه قرأها أعصر عنبا . وقال الضحاك في قوله (إنى أرانى أعصر خمرًا) يعنى عنبا ، قال وأهل عمان يسمون العنب خمرًا ، وقال عكرمة : قال له إنى رأيت فيما يرى النائم أنى غرست حبله من عنب فنبتت فخرج فيها عنقايد فعصرتهن ثم سقيتهن الملك فقال : تمكث في السجن ثلاثة أيام ثم نخرج فتسقيه خمرًا . وقال الآخر وهو الحلباز (إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزًا تأكل الطير منه نبثنا بتأويله) الآية والمشهور عند الأكثرين ما ذكرناه أنهما رأيا مناما وطلبا تعبيره . وقال ابن جرير حدثنا وكيع وابن حميد قال حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن إبراهيم عن عبد الله ابن مسعود قال : ما رأى صاحبًا يوسف شيئًا إنما كانا تحالما ليحجرا عليه

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ حَرِيقُهُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

يخبرهما يوسف عليه السلام أنهما مهما رأيا في منامهما من حلم فانه عارف بتفسيره ويخبرهما بتأويله قبل وقوعه ولهذا قال (لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله) قال مجاهد نقول (لا يأتيكما طعام ترزقانه) في يومكما (إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) وكذا قال السدى وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا محمد بن يزيد شيخ له حدثنا رشدين عن الحسن بن ثوبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : ما أدرى لعل يوسف عليه السلام كان يعتاق وهو كذلك لأنى أجد في كتاب الله حين قال للرجلين (لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله) قال إذا جاء الطعام حلوا أو مرا اعترف عند ذلك . ثم قال ابن عباس إنما علم فعلم وهذا أثر غريب ثم قال وهذا إنما هو من تعلم الله إياي لأنى اجتنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر فلا يرجون ثوابا ولا عقابا في العباد (واتبع ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب) الآية يقول هجرت طريق الكفر والشرك وسلكت طريق هؤلاء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى واتبع طريق المرسلين وأعرض عن طريق الضالين فإن الله يهدي قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلم ويجعله إماما يقتدى به في الخير وداعيا إلى سبيل الرشاد (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس) هذا التوحيد وهو الإفرار بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له (من فضل الله علينا) أى أوحاه اليها وأمرنا به (وعلى الناس) إذ جعلنا دعاء لهم إلى ذلك (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى لا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل اليهم بل (بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دارالبوار) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يجعل الجد أبا ويقول والله لمن شاء لاعتته عند الحجر ما ذكر الله جدا ولا جدة قال الله تعالى يعنى إخبارا عن يوسف (واتبع ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب)

﴿ يَصْحَبِي السَّجْنُ ، أَرْبَابٌ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ مِمَّا تُمَثِّلُونَهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

ثم إن يوسف عليه السلام أقبل على الفتيين بالمخاطبة والدعاء لهما إلى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ماسواه من الأوثان التي يعبدونها قومها فقال (أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) أي الذي ذل كل شيء لعزجلاله وعظمة سلطانه ، ثم بين لهما أن التي يعبدونها ويسمونها آلهة إنما هو جعل منهم وتسمية من تلقاء أنفسهم تلقاها خلفهم عن سلفهم وليس لذلك مستند من عند الله ولهذا قال (ما أنزل الله بها من سلطان) أي حجة ولا برهان ، ثم أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشيمة والملك كله لله وقد أمر عباده قاطبة أن لا يعبدوا إلا إياه ثم قال تعالى (ذلك الدين القيم) أي هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاس العمل له هو الدين المستقيم الذي أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي فلهذا كان أكثرهم مشركين (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقد قال ابن جرير إنما عدل بهم يوسف عن تعبير الرؤيا إلى هذا لأنه عرف أنها ضارة لأحدهما فأحب أن يشغلها بغير ذلك لئلا يعاودوه فيها فعاودوه فأعاد عليهم الموعدة ، وفي هذا الذي قاله نظر لأنه قد وعدهما أولا بتعيرها ولكن جعل سؤالهما على وجه التعظيم والاحترام وصلة وسببا إلى دعائهما إلى التوحيد والإسلام لما رأى في سجيتهما من قبول الخير والاقبال عليه والإنصات إليه ، ولهذا لما فرغ من دعوتها شرع في تعبير رؤياهما من غير تكرار سؤال فقال .

﴿ يَصْحِي السَّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْتَقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيَصَلِبُ فِتْنًا كُلُّ الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾

يقول لهما (يا صاحبي السجن أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْتَقِي رَبَّهُ خَمْرًا) وهو الذي رأى أنه يعصر خمرا ولكنه لم يعينه لئلا يحزن ذلك ولهذا أجهمه في قوله (وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) وهو في نفس الأمر الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزا ثم أعلمهما أن هذا قد فرغ منه وهو واقع لا محالة لأن الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت ، وقال الثوري عن عمارة بن القعقاع عن إبراهيم بن عبد الله قال : لما قالوا ما قالوا وأخبرهما قال ما رأينا شيئا فقال (قضى الأمر الذي فيه تستفتيان) ورواه محمد بن فضيل عن عمارة عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود به وكذا فسره مجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم وحاصله أن من تحلم يبطل وفسره فانه يلزم بتأويله والله تعالى أعلم ، وقد ورد في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن معاوية بن حيدة عن النبي ﷺ قال « الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت » وفي مسند أبي يعلى من طريق يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعا « الرؤيا لأول عابر »

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا أذْكَرُنِي فِي عِنْدِ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَمَّثَ فِي السَّجْنِ بِضَعِّ سِنِينِ ﴾

ولما ظن يوسف عليه السلام أن الساقى ناج قال له يوسف خفية عن الآخر والله أعلم — لئلا يشعره أنه المصلوب — قال له (اذكرني عند ربك) يقول اذكر قصتي عند ربك وهو الملك فنسى ذلك الموصى أن يذكر مولاه الملك بذلك وكان من جملة مكاييد الشيطان لئلا يطلع نبي الله من السجن هذا هو الصواب أن الضمير في قوله (فأنساه الشيطان ذكرك) عائذ على الناجي كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحق وغير واحد ويقال إن الضمير عائذ على يوسف عليه السلام رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضا وعكرمة وغيرهم وأسند ابن جرير ههنا حديثا فقال : حدثنا ابن وكيع حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا قال : قال النبي ﷺ « لو لم يقل - يعني يوسف - الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله » وهذا الحديث ضعيف جدا لأن سفيان بن وكيع ضعيف وإبراهيم بن يزيد هو الجوزي أضعف منه أيضا ، وقد روى عن الحسن وقتادة مرسلا عن كل منهما وهذه المرسلات ههنا لا تقبل من قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن والله أعلم ، وأما البضع فقال مجاهد وقتادة : هو ما بين الثلاث إلى التسع ، وقال وهب بن منبه : مكث أيوب في البلاء سبعا

ويوسف في السجن سبعا وعذب بختنصر سبعا ، وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما (فلبث في السجن بضع سنين) قال ثنتا عشرة سنة ، وقال الضحاك أربعة عشرة سنة

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ * قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ * وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنَ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنَ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾

هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدر الله تعالى أنها كانت سبباً لخروج يوسف عليه السلام من السجن معزواً مكرماً ، وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا فهالته وتعجب من أمرها وما يكون تفسيرها فجمع الكهنة والحادة وكبار دولته وأمرأه فقص عليهم ما رأى وسألهم عن تأويلها فلم يعرفوا ذلك واعتذروا إليه بأنها (أضغاث أحلام) أى أخلاط أحلام اقتضته رؤياك هذه (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) أى لو كانت رؤيا صحيحة من أخلاط لما كان لنا معرفة بتأويلها وهو تعبيرها فعند ذلك تذكر الذى نجا من ذينك الفتيين اللذين كانا في السجن مع يوسف وكان الشيطان قد أنساه ما وصاه به يوسف من ذكر أمره للملك فعند ذلك تذكر بعد أمة أى مدة وقرأ بعضهم بعد أمة أى بعد نسيان فقال لهم أى للملك والذين جمعهم لذلك (أنا أنبئكم بتأويله) أى بتأويل هذا المنام (فأرسلون) أى فابعثون إلى يوسف الصديق إلى السجن ، ومعنى الكلام فبعثوه فجاء فقال (يوسف أيها الصديق أفتنا) وذكر المنام الذى رآه الملك فعند ذلك ذكر له يوسف عليه السلام تعبيرها من غير تعنيف لافقى في نسيانه ما وصاه به ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك بل قال (تزرعون سبع سنين دأباً) أى يأتىكم الحصب والمطر سبع سنين متواليات ففسر البقر بالسنين لأنها تثير الأرض التى تشتغل منها الثمرات والزررع وهن السنبلات الخضرة ثم أرشدهم إلى ما يعتدونه فى تلك السنين فقال (فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلاً مما تأكلون) أى مهما استغلتم فى هذه السبع السنين الحصب فادخروه فى سنبله ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه إلا المقدار الذى تأكلونه وليكن قليلاً قليلاً لا تسرفوا فيه لتنتفعوا فى السبع الشداد وهن السبع السنين المحل التى تعقب هذه السبع المتواليات وهن البقرات العجاف اللاتى تأكل السمان لأن سنى الجذب يؤكل فيها ما جمعوه فى سنى الحصب وهن السنبلات اليابسات وأخبرهم أنهم لا يبنون شيئاً وما بذروه فلا يرجعون منه إلى شىء ولهذا قال (يا كنان ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون) ثم بشرهم بعد الجذب العام المتوالى بأنه يعقبهم بعد ذلك عام فيه يغاث الناس أى يأتهم الغيث وهو المطر وتغل البلاد ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم من زيت ونحوه وسكر ونحوه حتى قال بعضهم : يدخل فيه حلب اللبن أيضاً . قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وفيه يعصرون) يحلبون

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ الْمُسَوِّةِ الَّتِي قَطَعَنَ

أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِذْ رَأَوْتَنِي يَوْسُفَ عَنِ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْمُنْتَهَى حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى إخبارا عن الملك لما رجعوا إليه بتعبير رؤياه التي كان رآها بما أعجبه وأينقه فعرف فضل يوسف عليه السلام وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه وحسن أخلاقه على من يبلده من رعاياه فقال (اثنوني به) أي أخرجوه من السجن وأحضروه فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته ونزاهة عرضه بما نسب إليه من جهة امرأة العزيز وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه بل كان ظلما وعدوانا فقال (ارجع إلى ربك) الآية وقد وردت السنة بمدحه على ذلك والتنبيه على فضله وشرفه وعلو قدره وصبره صلوات الله وسلامه عليه. ففي المسند والصحاحين من حديث الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذا قال (رب أرني كيف نبحي الموتى) - الآية - ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولولبتت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي» وفي لفظ لأحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله (فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن علم) فقال رسول الله ﷺ «لو كنت أنا لأسرعت الإجابة وما ابتغيت العذر» وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال: قال رسول الله ﷺ «لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول ولو كنت مكانه ما أحببتهم حتى أشرط أن يخرجوني، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر» هذا حديث مرسل وقوله تعالى (قال ما خطبكم إن إذ راودتن يوسف عن نفسه) إخبار عن الملك حين جمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة العزيز فقال مخاطبا لهن كلهن وهو يريد امرأة وزيره وهو العزيز قال الملك للنسوة اللاتي قطعن أيديهن (ما خطبكن) أي شأنكن وخبركن (إذ راودتن يوسف عن نفسه) يعني يوم الضيافة (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) أي قالت النسوة جوابا للملك حاش لله أن يكون يوسف منهما والله ما علمنا عليه من سوء فعند ذلك (قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد تقول الآن تين الحق وظهر وبرر (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) أي في قوله (هي راودتنى عن نفسى) (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) تقول إنما اعترفت بهذا على نفسى ليعلم زوجى أنى لم أخنه بالغيب في نفس الأمر ولا وقع المخذور الأكبر وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع فلماذا اعترفت ليعلم أنى بريئة (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين * وما أبرئ نفسي) تقول المرأة ولست أبرئ نفسي فان النفس تتحدث وتحمى ولهذا راودته لأن (النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي) أي إلا من عصمه الله تعالى (إن ربي غفور رحيم) وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام وقد حكاها الماوردي في تفسيره وانتدب لصره الإمام أبو العباس بن تيمية رحمه الله فأفرده بتصنيف على حدة وقد قيل إن ذلك من كلام يوسف عليه السلام يقول (ذلك ليعلم أنى لم أخنه) في زوجته (بالغيب) الآيتين أي إنما رددت الرسول ليعلم الملك براءتى ولعلم العزيز (أنى لم أخنه) في زوجته (بالغيب) وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) الآية وهذا القول هو الذى لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم سواه. قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما جمع الملك النسوة فسألهن هل راودتن يوسف عن نفسه؟ (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق) الآية قال يوسف (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) فقال له جبريل عليه السلام: ولا يوم هممت بما هممت به؟ فقال (وما أبرئ نفسي) الآية وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة

وابن أبي الهذيل والضحاك والحسن وقتادة والسدى والقول الأول أقوى وأظهر لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى إخبارا عن الملك حين تحقق براءة يوسف عليه السلام ووزاهة عرضه مما نسب إليه قال (ائتوني به أستخلصه لنفسى) أى أجعله من خاصتى وأهل مشورتى (فلما كلمه) أى خاطبه الملك وعرفه ورأى فضله وبراعته وعلم ما هو عليه من خلق وخلق وكال قال له الملك (إنك اليوم لدينا مكين أمين) أى إنك عندنا قد بقيت ذامكنا وأمانة فقال يوسف عليه السلام (اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) مدح نفسه ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره للحاجة، وذكر أنه (حفيظ) أى خازن أمين (عليم) ذو علم وبصيرة بما يتولاه . وقال شيبه بن نعامه : حفيظ لما استودعتنى عليم بسنى الجذب رواه ابن أبى حاتم وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه ولما فيه من المصالح للناس وإنما سأله أن يجعله على خزائن الأرض وهى الأهرام التى يجمع فيها الغلات لما يستقبلونه من السنين التى أخبرهم بشأنها فيتصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد فأجيب إلى ذلك رغبة فيه وتكرمة له ولهذا قال تعالى

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

يقول تعالى (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض) أى أرض مصر (يتبعوا منها حيث يشاء) قال السدى وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم يتصرف فيها كيف يشاء ، وقال ابن جرير يتخذ منها منزلا حيث يشاء بعد الضيق والحبس والإسار (نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) أى وما أضعنا صبر يوسف على أذى إخوته وصبه على الحبس بسبب امرأة العزيز فلهدا أعقبه الله عز وجل السلام والنصر والتأييد (ولا نضيع أجر المحسنين * ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) يخبر تعالى أن ما ادخره الله تعالى لئيبه يوسف عليه السلام فى الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والنفوذ فى الدنيا كقوله فى حق سليمان عليه السلام (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب * وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) والغرض أن يوسف عليه السلام ولاء ملك مصر الريان بن الوليد الوزارة فى بلاد مصر مكان الذى اشتراه من مصر زوج التى راودته وأسلم الملك على يدى يوسف عليه السلام. قاله مجاهد

وقال محمد بن إسحق لما قال يوسف للملك (اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) قال الملك قد فعلت فولاه فيما ذكروا عمل اطفير وعزل اطفير عما كان عليه ، يقول الله عز وجل (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبعوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) قال فذكر لى والله أعلم أن اطفير هلك فى تلك الليلية وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة اطفير راعيل وأنها حين دخلت عليه قال لها : أليس هذا خيرا مما كنت تريدین ؟ قال فزعمون أنها قالت أيها الصديق لاتلمنى فانى كنت امرأة كما ترى حسناء جميلة ناعمة فى ملك ودينا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك وهيئتك على ما رأيت ، فزعمون أنه وجدها عذراء فأصابها فولدت له رجلين افراييم بن يوسف وميشا بن يوسف وولد لافراييم نون والديوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب عليه السلام ، وقال الفضيل بن عياض وقفت امرأة العزيز على ظهر الطريق حتى مر يوسف فقالت : الحمد لله الذى جعل العبيد ملوكا بطاعته ، والملوك عبيدا بمعصيته .

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ أَلَّا قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ

لَكُمْ مِنْ أَيْبِكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ * فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي
وَلَا تَقْرَبُونِ * قَالُوا سُبْرًا وَدُعَاةُ آبَاءِ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ * وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بَضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿

ذكر السدي ومحمد بن إسحق وغيرهما من المفسرين أن السبب الذي أقدم إخوة يوسف بلاد مصر أن يوسف عليه السلام لما بشر الوزارة بمصر ومضت السبع السنين الخصبه ثم تلتها السبع السنين الجديبة وعم القحط بلاد مصر بكاملها ووصل إلى بلاد كنعان وهي التي فيها يعقوب عليه السلام وأولاده ، وحينئذ احتاط يوسف عليه السلام للناس في غلاتهم وجمعها أحسن جمع فحصل من ذلك مبلغ عظيم وهدانا متعددة هائلة وورد عليه الناس من سائر الأقاليم والمعاملات ، يتارون لأنفسهم وعيالهم فكان لا يعطى الرجل أكثر من حمل بعير في السنة ، وكان عليه السلام لا يشبع نفسه ولا يأكل كل هووالمالك وجنودهما إلا أكلة واحدة في وسط النهار حتى يتكفأ الناس بما في أيديهم مدة السبع سنين وكان رحمة من الله على أهل مصر . وما ذكره بعض المفسرين من أنه باعهم في السنة الأولى بالأموال ، وفي الثانية بالمناع وفي الثالثة بكذا . وفي الرابعة بكذا حتى باعهم بأنفسهم وأولادهم بعد ما ملك عليهم جميع ما يملكون ، ثم أعتقهم ورد عليهم أموالهم كلها ، الله أعلم بصحة ذلك وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب ، والغرض أنه كان في جملة من ورد للميرة إخوة يوسف عن أمر أبيهم لهم في ذلك فانه بلغهم أن عزيز مصر يعطى الناس الطعام بثمنه فأخذوا معهم بضاعة يعاضون بها طعاما وركبوا عشرة نفر واحتبس يعقوب عليه السلام عنده ابنه بنيامين شقيق يوسف عليه السلام وكان أحب ولده إليه بعد يوسف ، فلما دخلوا على يوسف وهو جالس في أمهته ورباسته وسيادته عرفهم حين نظر إليهم وهم له منكرون أي لا يعرفونه لأنهم فارقوه وهو صغير حدث وباعوه للسيارة ولم يدروا أن يذهبون به ولا كانوا يستشعرون في أنفسهم أن يصير إلى ما صار إليه ، فلهذا لم يعرفوه ، وأما هو فعرفهم . فذكر السدي وغيره أنه شرع مخاطبهم فقال لهم كالنكر عليهم ما أقدمكم بلادي ؟ فقالوا أباها العزيز إنا قدمنا للميرة ، قال فلعلكم عيون ؟ قالوا معاذ الله ، قال فمن أين أتم ؟ قالوا من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله ، قال وله أولاد غيركم ؟ قالوا نعم كنعاني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إلى أبيه وبق شقيقه فاحتبسه أبوه ليتسلى به عنه ، فأمر بإنزالهم وإكرامهم (ولما جهزهم بجهارهم) أي أوفى لهم كيلهم وحمل لهم أحمالهم قال ائتوني بأخيكم هذا الذي ذكرتم لأعلم صدقكم فيما ذكرتم (الأترون أي أوفى الكيل وأنا خير المنزلين ؟) يرغبهم في الرجوع إليه ، ثم رهبهم فقال (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) الآية . أي إن لم تقدموا به معكم في المرة الثانية فليس لكم عندي ميرة (ولا تقربون * قالوا سبراً ودعاً أباه وإنا لفاعلون) أي سنحرص على حبيبه إليك بكل ممكن ولا نبقى مجهوداً لتعلم صدقاً فيما قلناه ، وذكر السدي أنه أخذ منهم رهائن حتى يقدموا به معهم وفي هذا نظر لأنه أحسن اليهم ورعيتهم كثيراً وهذا لحرصه على رجوعهم (وقال لفتيانته) أي غلمانته (اجعلوا بضاعتهم) أي التي قدموا بها لبتاروا عوضاً عنها (في رحالهم) أي في أمتعتهم من حيث لا يشعرون (لعلهم يرجعون) بها ، قيل خشى يوسف عليه السلام أن لا يكون عدهم بضاعة أخرى يرجعون للميرة بها ، وقيل تدمم أن يأخذ من أبيه وإخوته عوضاً عن الطعام ، وقيل أراد أن يردهم إذا وجدوها في متاعهم تخرجوا وتورعاً لأنه يعلم ذلك منهم والله أعلم

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَيْبِهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ آخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَبِيرٌ بِخَفِيضٍ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

يقول تعالى عنهم إنهم رجعوا إلى أبيهم (قالوا يا أبانا مع منا الكيل) يعنون بعد هذه المرة إن لم ترسل معنا آخانا

بنيامين لانكتل فأرسله معنا نكتل وإناله لحافظون ، قرأ بعضهم بالياء أى يكتل هو (وإناله لحافظون) أى لا تخف عليه فانه سيرجع اليك وهذا كما قالوا له فى يوسف (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإناله لحافظون) ولهذا قال لهم (هل آمنكم عليه إلا كما أمتكم على أخيه من قبل) أى هل أتم صانعون به إلا كما صنعتم بأخيه من قبل ، تعيبنه عنى وتحولون بينى وبينه ؟ (فإله خير حافظا) وقرأ بعضهم حفظا (وهو أرحم الراحمين) أى هو أرحم الراحمين بى وسيرحم كبرى وضعفى ووجدى بولدى وأرجو من الله أن يردده على ويجمع شملى به إنه أرحم الراحمين .

﴿ وَوَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبغى هَذِهِ بَضَعْتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَبِغِرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَنَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا تَقُولُ وَكِيلٌ ﴿

يقول تعالى . ولما فتح إخوة يوسف متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم وهى التى كان أمر يوسف فتيناه بوضعها فى رحالهم فلما وجدوها فى متاعهم (قالوا يا أبانا ما نبغى) أى ماذا نريد (هذه بضاعتنا ردت إلينا) كما قال قتادة . ما نبغى وراء هذا إن بضاعتنا ردت إلينا وقد أوفى لنا الكيل (ونمير أهلنا) أى إذا أرسلت أخانا معنا نأتى بالميرة إلى أهلنا (ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير) وذلك أن يوسف عليه السلام كان يعطى كل رجل حمل بعير ، وقال مجاهد حمل حمار ، وقد يسمى فى بعض اللغات بعيرا ، كذا قال (ذلك كيل يسير) هذا من تمام الكلام وتحسينه أى إن هذا يسير فى مقابلة أخذ أخيه ما يعدل هذا (قال لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ) لئلا تننى به إلا أن يحاط بكم (إلا أن تغلبوا كاسكم ولا تقمروا على تخليصه) فلما آتوه موثقهم (أكده عليهم فقال (الله على ما تقول وكيل) قال ابن إسحق وإنما فعل ذلك لأنه لم يجد بدا من بعثهم لأجل الميرة التى لاغى لهم عنها فبعثه معهم .

﴿ وَقَالَ يَبْنَى لَّا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْثُوبٍ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لُدُوْعٌ لِّمَاءٍ عَالَمِنُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿

يقول تعالى إخبارا عن يعقوب عليه السلام أنه أمر بنيه لما جهزهم مع أخيه بنيامين إلى مصر أن لا يدخلوا كلهم من باب واحد وليدخلوا من أبواب متفرقة فانه كما قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومجاهد والضحاك وقتادة والسدى وغير واحد انه خشى عليهم العين وذلك أنهم كانوا ذوى جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء فخشى عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم فإن العين حق تستنزله الفارس عن فرسه وروى ابن أبى حاتم عن إبراهيم النخعى فى قوله (وادخلوا من أبواب متفرقة) قال علم أنه سلبق إخوته فى بعض تلك الأبواب وقوله (وما أغنى عنكم من الله من شىء) أى إن هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاه فان الله إذا أراد شيئا لا يخالف ولا يمانع (إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتكول المتوكلون) ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شىء إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها (قالوا هى دفع إصابة العين لهم) وإنه لدوْعٌ لِّمَاءٍ عَالَمِنُهُ . قال قتادة والثورى لدوْعٌ لِّمَاءٍ عَالَمِنُهُ ، وقال ابن جرير لدوْعٌ لِّمَاءٍ عَالَمِنُهُ (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا هَلِيَّ يَوْسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن إخوة يوسف لما قدموا على يوسف ومعهم أخوه شقيقه بنيامين وأدخلهم دار كرامته ومنزل ضيافته وأفاض عليهم الصلوة والإلطف والإحسان واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه وما جرى له وعرفه أنه أخوه ، وقال له لا تبتئس أي لا تأسف على ما صنعوا بي وأمره بكتان ذلك عنهم وأن لا يطلعهم على ما أطلعه عليه من أنه أخوه ، وتواطأ معه أنه سيحتال على أن يبقية عنده معززا مكرما معظما

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّمَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ * قَالُوا وَأَتَقَبَّلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ * قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾

لما جهزهم وحمل لهم أبعرتهم طعاما أمر بعض فتيانه أن يضع السقاية وهي إناء من فضة في قول الأكرين ، وقيل من ذهب قاله ابن زيد كان يشرب فيه ويكيل للناس به من عزة الطعام إذ ذاك قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد ، وقال شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس صواع الملك قال : كان من فضة يشربون فيه وكان مثل الكوك ، وكان للعباس مثله في الجاهلية ، فوضعها في متاع بنيامين من حيث لا يشعر أحد ثم نادى مناد بينهم (أيتها العير إنكم لسارقون) فالتفتوا إلى المنادى وقالوا (ماذا تفقدون * قالوا نفقد صواع الملك) أي صاعه الذي يكيل به (ولمن جاء به حمل بعير) وهذا من باب الجمالة (وأنا به زعيم) وهذا من باب الضمان والسكافة

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ * قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَادِبِينَ * قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

لما انهمهم أولئك الفتيان بالسرقة قال لهم إخوة يوسف (تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) أي لقد تحققتم وعامتم منذ عرفتمونا لأنهم شاهدوا منهم سيرة حسنة أنا (ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) أي ليست سحابتنا تقتضى هذه الصفة فقال لهم الفتيان (فما جزاؤه) أي السارق إن كان فيكم (إن كنتم كاذبين) أي أي شيء يكون عقوبته إن وجدنا فيكم من أخذه ؟ (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين) وهكذا كانت شريعة إبراهيم عليه السلام أن السارق يدفع إلى السرور منه ، وهذا هو الذي أراد يوسف عليه السلام ولهذا بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه أي فتشها قبله تورية (ثم استخرجها من وعاء أخيه) فأخذه منهم بحكم اعترافهم والتزامهم وإلزاما لهم بما يعتقدونه ولهذا قال تعالى (كذلك كدنا ليوسف) وهذا من السكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة . وقوله (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) أي لم يكن له أخذه في حكم مصر قاله الضحاك وغيره وإنما قبض الله له أن التزم له أخوته بما التزموه وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم ولهذا مدحه الله تعالى فقال (نرفع درجات من نشاء) كما قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم) الآية (وفوق كل ذي علم عليم) قال الحسن البصري ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عز وجل ، وكذا روى عبد الرزاق عن سفیان الثوري عن عبيد الأعلی الثعلبي عن سعيد بن جبير قال كنا عند ابن عباس فحدث بحديث عجيب فتعجب رجل فقال : الحمد لله فوق كل ذي علم عليم ، فقال ابن عباس بش ما قلت ، الله العليم فوق كل عالم ، وكذا روى سماك عن عكرمة

عن ابن عباس (وفوق كل ذي علم علم) قال يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا والله فوق كل عالم وهكذا قال
عكرمة وقال قتادة: وفوق كل ذي علم علم. حتى ينتهي العلم إلى الله ، منه بديء وتعلمت العلماء واليه يعود ، وفي قراءة
عبد الله وفوق كل عالم علم

﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ
مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾

وقال إخوة يوسف لما رأوا الصواع قد أخرج من متاع بنيامين (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) يتصلون
إلى العزيز من التشبه به ويذكرون أن هذا فعل كما فعل أخ له من قبل يعنون به يوسف عليه السلام قال سعيد بن جبير
عن قتادة كان يوسف عليه السلام قد سرق صنما لجدته أبي أمه فكسره ، وقال محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجیح
عن مجاهد قال كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما بلغني أن عمته ابنة إسحاق وكانت أكبر ولد إسحاق وكانت
عندها منطقة إسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكان من اختبأها ممن وليها كان له سلما لا ينازع فيه يصنع فيه ما يشاء ،
وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد حضنته عمته وكان لها به وله فلم تحب أحدا حبا إياه حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات
ناقت إليه نفس يعقوب عليه السلام فأتاها فقال يا أختي سلمى إلى يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة
قالت فوالله ما أنا بتاركته ثم قالت: فدعه عندي أياما أنظر إليه وأسكن عنه لعل ذلك يسليني عنه أو كما قالت فلما خرج
من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة إسحاق عليه
السلام فانظروا من أخذها ومن أصابها ؟ فالتفت ثم قالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف فقالت
والله إنه لي سلم أصنع فيه ما شئت فأتاها يعقوب فأخبرته الخبر فقال لها أنت وذلك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك ،
ما أستطيع غير ذلك ، فأمسكته فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت ، قال فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه
ما صنع حين أخذه (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) وقوله (فأسرهما يوسف في نفسه) يعني الكلمة التي بعدها
وهي قوله (أتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) أي تذكرون قال هذا في نفسه ولم يبده لهم وهذا من باب الاضمار قبل
الذكر وهو كثير كقول الشاعر :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنار

وله شواهد كثيرة في القرآن والحديث واللغة في منشورها وأخبارها وأشعارها. قال العوفي عن ابن عباس (فأسرهما
يوسف في نفسه) قال أسر في نفسه (أتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون)

﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ مَعَاذَ
اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ﴾

لما تعين أخذ بنيامين وتقرر تركه عند يوسف بمقتضى اعترافهم شرعوا يترققون له ويعطفونه عليهم (فقالوا يا أيها
العزيز إن له أبا شيخا كبيرا) يعنون وهو يحبه حبا شديدا ويتسلى به عن ولده الذي فقده (فخذ أحدنا مكانه) أي بدله
يكون عندك عوضا عنه (إنا نراك من المحسنين) أي العادلين النصفين الفابلين للخير (قال معاذ الله أن تأخذ إلا من
وجدنا متاعنا عنده) أي كما قلت واعترقم (إنا إذا لظالمون) أي إن أخذنا بريئا بسقيم (١).

﴿ فَلَمَّا أَسَدَيْتُمْ سُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَاقِعًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ

(١) المناسب أن يقال : بمذنب أو حان .

مَا فَزَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * أَرْجِعُوا
إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ * وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ
الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٨٧﴾

يخبر تعالى عن اخوة يوسف أنهم لما يتسوا من تخلص أخيه بنيامين الذي قد التزموا لأبيهم برده إليه وعاهدوه
على ذلك فاستمع عليهم ذلك (خلصوا) أي انفردوا عن الناس (نحيا) يتباحون فيما بينهم (قال كبيرهم) وهو روييل وويل
يهونا وهو الذي أشار عليهم بإلفائه في البئر عند ما هموا يقتله فالهلم (ألم تعلموا أن أنا كم قد أخذ عليكم موثقا من الله)
لتردبه إليه فقد رأيتم كيف تعذر عليكم ذلك مع ما تقدم لكم من إضاعة يوسف عنه (فلن أبرح الأرض) أي لن أفارق
هذه البلدة (حتى يأذن لي أبي) في الرجوع إليه راضيا عنى (أو يحكم الله لي) قيل بالسيف ، وقيل بأن يمكس من أخذ
أخى (وهو خير الحاكمين) ثم أمرهم أن يخبروا آبائهم بصورة ما وقع حتى يكون عذرا لهم عنده ويتصلوا إليه ويرؤا
بما وقع بقولهم وقوله (وما كنا للغيب حافظين) قال قتادة وعكرمة : ما علمنا أن ابنك سرق . وقال عبد الرحمن بن زيد بن
أسلم : ما علمنا في الغيب أنه سرق له شيئا ، إنما سألنا ماجزاء السارق ؟ (واسأل القرية التي كسافها) قيل المراد مصر
قاله قتادة وقيل غيرها (والعير التي أقبلنا فيها) أي التي رافناها عن صدقا وأمانتنا وحفظنا وحراستنا (وإننا لصادقون)
فيما أخبرناك به من أنه سرق وأخذوه بسرقة

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ بِهِ حَمِيلًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَتَوَلَّى
عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُونُسَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُمُوهُ تَذَكَّرَ يُونُسَ حَتَّىٰ
يَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحُزِنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٨٨﴾

قال لهم كما قال لهم حين جاءوا على قصص يوسف بدم كذب (بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) قال محمد
ابن إسحق لما جاءوا يعقوب وأخبروه بما جرى أتهمهم فظن أنها كفتلهم بيوسف قال (بل سولت لكم أنفسكم أمرا
فصبر جميل) وقال بعض الناس لما كان صنيهم هذا مرتا على فعاهم الأول سحب حكم الأول عليه وصرح قوله (بل سولت لكم
أنفسكم أمرا فصبر جميل) ثم ترجى من الله أن يرد عليه أولاده الثلاثة يوسف وأخاه بنيامين وروييل الذي أقام بديار مصر
ينتظر أمر الله فيه إما أن يرضى عنه أبوه فيأمره بالرجوع إليه ، وإما أن يأخذ أخاه خفية ، ولهذا قال (عسى الله أن يأتي
بهم جميعا إنه هو العليم) أي العليم بحالى (الحكيم) في أفعاله وقضائه وقدره (وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف) أي
أعرض عن بنيه وقال متذكرا حزن يوسف القدم الأول (يا أسفا على يوسف) جدد له حزن الابن الحزن الدفين ، قال عبد
الرزاق أنا الثوري عن سفيان العصفري عن سعيد بن جبير أنه قال لم يعط أحد غير هذه الأمة الاسترجاع ، ألا تسمعون
إلى قول يعقوب عليه السلام (يا أسفا على يوسف وابتضت عيناه من الحزن فهو كظيم) أي ساكت لا يشكو أمره إلى
مخلوق . قاله قتادة وغيره ، وقال الضحاك فهو كظيم كئيب حزين

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حماد بن سامة عن علي بن زيد عن الحسن عن الأحف بن قيس أن النبي ﷺ
قال « إن داود عليه السلام قال : يارب إن بنى إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحق ويعقوب فاجعلى لهم رابعا
فأوحى الله تعالى إليه أن يداود إن إبراهيم ألقى في النار بسببى فصبر وتلك بلية لم تنلك وإن إسحق بدل مهجة دمه
بسببى فصبر وتلك بلية لم تنلك ، وإن يعقوب أخذت منه حبيبه فايضت عيناه من الحزن فصبر وتلك بلية لم تنلك » وهذا

مرسل وفيه نكارة فإن الصريح أن إسماعيل هو النبي ، ولكن علي بن زيد بن جدعان له منا كبر وغرائب كثيرة والله أعلم ، وأقرب ما في هذا أن الأحنف بن قيس رحمه الله حكاه عن بعض بني إسرائيل ككعب ووهب ونحوهما والله أعلم فان بني إسرائيل ينقلون أن يعقوب كتب الى يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة يتلطف له في رد ابنه ويذكره انهم أهل بيت مصابون بالبلاء فابراهيم ابنتي بالنار وإسحق بالديع ويعقوب بفراق يوسف في حديث طويل لا يصح والله أعلم ، فعند ذلك رقبه بنوه وقالوا له على سبيل الرفق به والشفقة عليه (تالله تفتؤ تذكر يوسف) أى لا تفارق تذكر يوسف (حتى تكون حرضاً) أى ضعيف القوة (أو تكون من المهالكين) يقولون إن استمر بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتلف (قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) أى أجابهم عما قالوا بقوله (إنما أشكو بثي وحزني) أى همي وما أنا فيه (إلى الله) وحده (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى أرجو منه كل خير ، وعن ابن عباس (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعنى رؤيا يوسف أنها صدق وأن الله لا بد أن يظهرها ، وقال العوفي عنه في الآية أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأنى سوف أسجد له . وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي بختينة عن حفص بن عمر بن أبي الزبير عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كان ليعقوب النبي عليه السلام أخ مؤاخ له فقال له ذات يوم ما الذى أذهب بصرك وقوس ظهرك ؟ قال أما الذى أذهب بصري فالبسك على يوسف وأما الذى قوس ظهره فالحزن على بنيامين ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي أن تشكونى إلى غيري ؟ فقال يعقوب إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فقال جبريل عليه السلام الله أعلم بما تشكو » وهذا حديث غريب فيه نكارة :

﴿ يَبْنِيْ اَذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَاَخِيْهِ وَلَا تَأْتِيْدُسُوْا مِنْ رُّوْحِ اَللّٰهِ اِنَّهُ لَا يَأْتِيْدُسُ مِنْ رُّوْحِ اَللّٰهِ اِلَّا اَلْقَوْمُ اَلْكَافِرُوْنَ * فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَيْهِ قَالُوْا يَا اَيُّهَا اَلْعَزِيْزُ مَسْنَاْ وَاَهْلُنَا اَلضَّرُّ وَجِئْنَاْ بِبِضْعَةٍ مُّزَجَّةٍ فَاَوْفِ لَنَا اَلْكَیْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا اِنَّ اَللّٰهَ يَجْزِي اَلْمُتَّصِدِّقِيْنَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن يعقوب عليه السلام إنه ندب بنيه على الذهاب في الأرض يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين والتحسس يكون في الخير والتجسس يكون في الشر ، ونهضهم وبشرهم وأمرهم أن لا يئأسوا من روح الله أى لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه فإنه لا يقطع الرجاء ولا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون . وقوله (فامادخلوا عليه) تقدير الكلام : فذهبوا فدخلوا مصر ودخلوا على يوسف (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) يعنون من الجذب والقحط وقلة الطعام (وجئنا ببضاعة مزجاة) أى ومعنا ثمن الطعام الذى نمتاره وهو ثمن قليل قاله مجاهد والحسن وغير واحد وقال ابن عباس الرديء لا ينفق مثل خلق الغرارة والحبل والشئ ، وفي رواية عنه الدراهم الرديئة التى لا تجوز إلا بنقضان وكذا قال قتادة والسدى وقال سعيد بن جبير هى الدراهم الفسول . وقال أبو صالح : هو الصنوبر وحبه الحضراء وقال الضحاك كاسدة لا تنفق وقال أبو صالح جاءوا بحب البطم الأخضر والصنوبر ، وأصل الإزجاء الدفع لضعف الشئ كما قال حاتم طي .

ليبك على ملحان ضيف مدافع * وأرملة تزجى مع الليل أرملا

وقال أعشى بن ثعلبة الواهب المائة الهجان وعبدها * عودا تزجى خلفها أطفالها

وقوله إخباراً عنهم (فأوف لنا الكيل) أى أعطنا بهذا الثمن القليل ما كنت تعطينا قبل ذلك وقرأ ابن مسعود فأوفر ركابنا وتصدق علينا وقال ابن جريج وتصدق علينا برد أخينا إلينا وقال سعيد بن جبير السدى (وتصدق علينا) يقولون تصدق علينا بقبض هذه البضاعة المزجاة وتجوز فيها وسئل سفيان بن عيينة عن حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبي ﷺ فقال ألم تسمع قوله (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي

التصدقين) رواه ابن جرير عن الحارث عن القاسم عنه . وقال ابن جرير حدثنا الحارث حدثنا القاسم حدثنا مروان ابن معاوية عن عثمان بن الأسود سمعت مجاهدا وسئل هل يكره أن يقول الرجل في دعائه : اللهم تصدق على ؟ قال نعم إنما الصدقة لمن يتبغى الثواب

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَهَنْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ * قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن يوسف عليه السلام أنه لما ذكر له إخوته ما أصابهم من الجهد والضيق وقلة الطعام وعموم الجذب وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن لفقد ولديه مع ما هو فيه من الملك والتصرف والسعة فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ورحمته وشفقة على أبيه وإخوته وبدرة البكاء فتعرف إليهم فيقال إنه رفع التاج عن جبهته وكان فيها شامة وقال (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) يعني كيف فرقوا بينه وبين أخيه (إذ أنتم جاهلون) أي إنما حملكم على هذا الجهل بمقدار هذا الذي ارتكبتموه كما قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل وقرأ (ثم إن ربك للذنين عملوا السوء بجهالة) الآية والظاهر والله أعلم أن يوسف عليه السلام إنما تعرف إليهم بنفسه بإذن الله تعالى له في ذلك كما أنه إنما أخفى منهم نفسه في المرتين الأوليين بأمر الله تعالى له في ذلك والله أعلم ولكن لما ضاق الحال واشتد الأمر فرج الله تعالى من ذلك الضيق كما قال تعالى (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) فعند ذلك قالوا (أنتك لأنت يوسف؟) وقرأ أبي بن كعب (إنك لأنت يوسف) وقرأ ابن محيصن (أنت يوسف) والقراءة المشهورة هي الأولى لأن الاستفهام يدل على الاستعظام أي أنهم تعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من سنتين وأكثر وهم لا يعرفونه وهو مع هذا يعرفهم ويحكم نفسه فلهذا قالوا على سبيل الاستفهام (أنتك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى) . وقوله (قد من الله علينا) أي بجمعه بيننا بعد التفرقة وبعد المدة (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) قالوا تالله لقد آتراك الله علينا) الآية يقولون معترفين له بالفضل والأثرة عليهم في الخلق والخلق والسعة والملك والتصرف والنبوة أيضا على قول من لم يجعلهم أنبياء وأقروا له بأنهم أساءوا إليه وأخطأوا في حقه (قال لا تثريب عليكم اليوم) يقول أي لا تأنيب عليكم ولا عتب عليكم اليوم ولا أعيد عليكم ذنبكم في حقى بعد اليوم ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة فقال (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) قال السدى اعتذروا إلى يوسف فقال (لا تثريب عليكم اليوم) يقول لا أذكر لكم ذنبكم وقال ابن إسحق والثوري (لا تثريب عليكم) أي لا تأنيب عليكم اليوم عندي فإيا صنعتم (يغفر الله لكم) أي يستر الله عليكم فيما فعلتم (وهو أرحم الراحمين)

﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ * قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾

يقول اذهبوا بهذا القميص (فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا) وكان قد عمى من كثرة البكاء (وأتونى بأهلكم أجمعين) أي بجمع بني يعقوب (ولما فصلت العير) أي خرجت من مصر (قال أبوهم) يعني يعقوب عليه السلام لمن بقى عنده من بنيه (إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) تنسبونى إلى الفند والكبر . قال عبد الرزاق أنبأنا إسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال سمعت ابن عباس يقول : ولما فصلت العير قال لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف فقال (إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) قال فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام وكذا رواه سفيان الثوري

وشعبة وغيرها عن أبي سنان به ، وقال الحسن وابن جريج كان بينهما ثمانون فرسخا وكان بينه وبينه منذ افتراقا ثمانون سنة وقوله (لولا أن تفندون) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وسعيد بن جبير تسفهون ، وقال مجاهد أيضا والحسن تهرمون وقولهم (إنك لني ضلالك القديم) قال ابن عباس لني خطئك القديم وقال قتادة أي من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه قالوا لو ألهم كلمة غليظة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لو ألهم ولا لني الله ﷻ وكذا قال السدي وغيره .

﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قَالُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

قال ابن عباس والضحاك (البشير) البريد ، وقال مجاهد والسدي كان يهودا بن يعقوب قال السدي إنما جاء به لأنه هو الذي جاء بالقميص وهو ملطخ بدم كذب فأحب أن يغسل ذلك بهذا فجاء بالقميص فألفاه على وجه أبيه فرجع بصيرا وقال لبنيه عند ذلك (ألم أقل لكم إن الله ما يعلمون) أي أعلم أن الله سيرده إلي وقلت لكم (إنني لأجد جريج يوسف لولا أن تفندون) فعند ذلك قالوا الأبيهم مترقين له (يا أبا ناس استغفر لنا ذنوبنا إننا كنا خاطئين * قال سوف استغفر لكم ربنا إنه هو الغفور الرحيم) أي من تاب إليه تاب عليه قال ابن مسعود وإبراهيم التيمي وعمرو بن قيس وابن جريج وغيرهم أرجأهم إلى وقت السحر وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا ابن إدريس سمعت عبد الرحمن بن إسحق يذكر عن محارب بن دثار قال كان عمر رضى الله عنه يأتي المسجد فيسمع إنسانا يقول : اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فأطعت وهذا السحر فاغفر لي قال فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله عن ذلك فقال إن يعقوب آخر بنيه إلى السحر بقوله (سوف استغفر لكم ربنا) وقد ورد في الحديث أن ذلك كان ليلة الجمعة كما قال ابن جرير أيضا حدثني الثوري حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أبوب الدمشقي حدثنا أبو الوليد أنبأنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷻ « (سوف استغفر لكم ربنا) يقول حتى تأتي ليلة الجمعة وهو قول أخى يعقوب لبنيه » وهذا غريب من هذا الوجه وفي رفعه نظر والله أعلم

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبُو يَهُدَى وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَأَمِنِينَ وَرَفَعَ أَبُو يَهُدَى عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

يخبر تعالى عن ورود يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام وقدمه بلاد مصر لما كان يوسف قد تقدم لإخوته أن يأتوه بأهلهم أجمعين فحملوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين بلاد مصر فلما أخبر يوسف عليه السلام باقتراحهم خرج لنفهم وأمر الملك أمراءه وأكابر الناس بالخروج مع يوسف لتلقي نبي الله يعقوب عليه السلام ويقال إن الملك خرج أيضا لنلقبه وهو الأشبه وقد أشكل قوله (آوى إليه أبو يه) وقال ادخلوا مصر (على كثير من المفسرين فقال بعضهم هذا من المقدم والمؤخر ومعنى الكلام (وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين) وآوى إليه أبو يه ورفعها على العرش ورد ابن جرير هذا وأحد في ذلك ثم اختار ما حكاه عن السدي أن يوسف آوى إليه أبو يه لما تلقاهما ثم ملا وصلوا باب البلد قال (ادخلوا مصر إن شاء الله آمين) وفي هذا نظر أيضا لأن الإيواء إنما يكون في المنزل كقوله (آوى إليه أخاه) وفي الحديث « من آوى محدثا » وما المانع أن يكون لهم بعد ما دخلوا عليه وآواهم إليه ادخلوا مصر وضمنه اسكنوا مصر إن شاء الله آمين أي مما كنتم فيه من الجهد والخطو ويقال والله أعلم إن الله تعالى رفع عن أهل مصر بقية السنين المحذبة ببركة قدوم يعقوب عليهم كما رفع بقية السنين التي دعا بها رسول الله ﷻ على أهل مكة حين قال « اللهم أعني عليهم بسبع كسيع

يوسف » ثم لما تضرعوا إليه واستشفعوا لديه وأرسلوا أباسفيان في ذلك فدعا لهم فرفع عنهم بقية ذلك ببركة دعائه عليه السلام وقوله (آوى إليه أبويه) قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما كان أباه وخالته وكانت أمه قد ماتت قدما ، وقال محمد بن إسحق وابن جرير كان أبوه وأمّه يعيشان قال ابن جرير ولم يرقم دليل على موت أمه ، وظاهر القرآن يدل على حياتها وهذا الذي نصره هو المنصور الذي يدل عليه السياق وقوله (ورفع أبويه على العرش) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعنى السرير أى أحلسهما معه على سريريه (وخرّوا له سجداً) أى سجده أبواه وإخوته الباقون وكانوا أحد عشر رجلاً (وقالوا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) أى التي كان قصها على أبيه من قبل (إنى رأيت أحد عشر كوكباً) الآية وقد كان هذا سائعا في شرائعهم إذ أساموا على الكبير يسجدون له ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام فحرم هذا في هذه الملة وجعل السجود مخصاً بجناب الرب سبحانه وتعالى هذا مضمون قول قتادة وغيره ، وفي الحديث أن معاداً قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم فلما رجع سجد لرسول الله ﷺ فقال « ما هذا يا معاذ ؟ » فقال إنى رأيهم يسجدون لأساقفتهم وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله فقال « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها » وفي حديث آخر : أن سلمان لقي النبي صلى الله عليه وسلم في بعض طرق المدينة وكان سلمان حديث عهد بالاسلام فسجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « لا تسجد لى بإسمان واسجد للحى الذى لا يموت » والغرض أن هذا كان حائراً في شريعتهم ولهذا خروا له سجداً فعندها قال يوسف (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل فاجعلها ربي حقاً) أى هذا ما آل إليه الأمر فان التأويل يطلق على ما يصير اليه الأمر كما قال تعالى (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله) أى يوم القيامة يأتيهم ما وعدوا به من خير وشر وقوله (قد جعلها ربي حقاً) أى صحيحة صدقاً يذكر نعم الله عليه (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو) أى البادية فالابن جريج وغيره كانوا أهل بادية وماشية ، وقال كانوا يسكنون بالعربات من أرض فلسطين من غور الشام ، قال وبعض يقول كانوا بالأولاج من ناحية شعب أسفل من حسمى وكانوا أصحاب بادية وشاء وإبل ، (من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين إخونى إن ربي لطيف لما يشاء) أى إذا أراد أمراً قبيحاً له أسباباً وقدره ويسره (إنه هو العليم) بمصالح عباده (الحكيم) فى أقواله وأفعاله وقضائه وقدره وما يختاره ويريد ، قال أبو عثمان الهدي عن سليمان كان بين رؤيا يوسف ونأولها أربعون سنة قال عبدالله بن شداد وإلها ينمى أقصى الرؤيا رواه ابن جرير وقال أيضاً حدثنا عمر بن علي حدثنا عبد الوهاب النعفي حدثنا هشام عن الحسن قال كان مند فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيتهما نون سنة لم يمارق الحزن قلبه ودموعه تجرى على حديه وما على وجه الأرض عبد أحب إلى الله من يعقوب ، وقال هشيم عن نونس عن الحسن ثلاث وثمانون سنة ، وقال مبارك بن فضالة عن الحسن ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة فغاب عن أبيه ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة مات وله عشرون ومائة سنة وقال قتادة كان بينهما خمس وثلاثون سنة وقال محمد بن إسحق : ذكر والله أعلم ان غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمانين سنة ، قال وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب عليه السلام بقى مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ثم قبضه الله إليه . وقال أبو اسحق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود قال : دخل بنو إسرائيل مصر وهم ثلاثة (١) وستون إنساناً وخرجوا منها وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً ، وقال أبو إسحق عن مسروق دخلوا وهم ثلثمائة وتسعون بين رجل وامرأة فأنه أعلم . وقال موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن شداد اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون إنساناً صغارهم وكبيرهم ، وذكرهم وأثامهم وخرجوا منها وهم ستمائة ألف وبنف .

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَرَبِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾

هذا دعاء من يوسف الصديق دعا به ربه عز وجل لما تمت نعمة الله عليه باجتماعه بأبويه وإخوته وما من الله به عليه من النبوة والملك، سأل ربه عز وجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة وأن يتوفاه مسلماً حين يتوفاه قاله الضحاك، وأن يلحقه بال صالحين وهم إخوانه من النبيين والمرسلين صلات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ جعل يرفع أصبعه عند الموت ويقول « اللهم في الرفيق الأعلى » ثلاثاً ويحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام واللحاق بال صالحين إذا جاء أجله وانقضى عمره، لا أنه سأله ذلك منجزاً كما يقول الداعي لغيره أمانك الله على الإسلام، ويقول الداعي اللهم أحيينا مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بال صالحين، ويحتمل أنه سأل ذلك منجزاً وكان ذلك سائفاً في ملتهم كما قال قتادة قوله (توفني مسلماً وألحقني بال صالحين) لما جمع الله شمله وأقر عينه وهو يومئذ مغفور في الدنيا وملسكها ونفارتها اشتاق إلى الصالحين قبله، وكان ابن عباس يقول ماعنى نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام، وكذا ذكر ابن جرير والسدي عن ابن عباس أنه أول نبي دعا بذلك وهذا يحتمل أنه أول من سأل الوفاة على الإسلام كما أن نوحاً أول من قال (رب اغفر لي ولوالدي وللمن دخل بيبي مؤمناً) ويحتمل أنه أول من سأل إنجاز ذلك وهو ظاهر سياق قول قتادة، ولكن هذا لا يجوز في شريعتنا، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان ولا بد متمنياً للموت فليقل اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي » وأخرجاه في الصحيحين، وعندهما « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به إما محسناً فيزداد، وإما مسيئاً فلعله يستعقب، ولكن ليقل اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو الغيرة حدثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال: جلسنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ورقنا فبكى سعد بن أبي وقاص فأكثر البكاء وقال باليتنى مت، فقال النبي ﷺ « ياسعد أعندى تتمنى الموت؟ » فردد ذلك ثلاث مرات ثم قال « ياسعد إن كنت حلفت للجنة فاطال من عمرك وحسن من عملك فهو خير لك » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لميعة حدثنا أبو يونس هو مسلم بن جبير عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ولا يدع به من قبل أن يأتيه إلا أن يكون قد وثق بعمله، فإنه إذا مات أحدكم انقطع عنه عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمله إلا خيراً » تفرد به أحمد، وهذا فيما كان الضر خاصاً به، وأما إذا كان فتنه في الدين فيجوز سؤال الموت كما قال الله تعالى إخباراً عن السحرة لما أرادهم فرعون عن دينهم وتهددهم بالقتل (قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) وقالت مريم لما أجاها المخاض وهو الطلق إلى جذع النخلة (ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) لما علمت من أن الناس يقذفونها بالفاحشة لأنها لم تكن ذات زوج وقد حملت ووضعت وقد قالوا (يامريم لقد جئت شيئاً فربا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً) فجعل الله لها من ذلك الحال فرجاً ومخرجاً وأنطق الصبي في المهدي بأنه عبد الله ورسوله فكان آية عظيمة ومعجزة باهرة صلوات الله وسلامه عليه. وفي حديث معاذ الذي رواه الإمام أحمد والترمذي في قصة المنام والدعاء الذي فيه « وإذا أردت بموم فتنه فأقبضني إليك غير مفتون »

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سلمة أنا عبد العزيز بن محمد عن عمرو بن عاصم عن كثير بن قتادة عن محمود بن لبيد مرفوعاً أن النبي ﷺ قال « اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتن، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب » فعند حلول الفتن في الدين يجوز سؤال الموت، ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في آخر خلافته لما رأى أن الأمور لا تجتمع له ولا يزداد الأمر إلا شدة فقال: اللهم خذني إليك فقد سئمتهم وسئمتوني. وقال البخاري رحمه الله لما وقعت له تلك الفتنة وجرى له مع أمير خراسان ما جرى قال: اللهم توفني إليك وفي الحديث « إن الرجل ليمر بالقر - أي في زمان الدجال - فيقول ياليتني مكانك » لما يرى من الفتن والزلازل

والبلايا والأمور الهائلة التي هي فتنة لكل مفتون . قال أبو جعفر بن جرير: وذكر أن بني يعقوب الذين فعلوا يوسف ما فعلوا استغفر لهم أبوهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم وغفر لهم ذنوبهم

(ذكر من قال ذلك)

حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن صالح المري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال إن الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله بعينيه خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض ألسنم قد علمتم ما صنعتم وما لقي منكم الشيخ وما لقي منكم يوسف؟ قالوا بلى ، قال فيغركم عفوها عنكم فكيف لكم بربكم؟ فاستقام أمرهم على أن أنوا الشيخ فجلسوا بين يديه ويوسف إلى جنب أبيه قاعد قالوا يا أبانا إنا أتيناك لأمر لم نأتك لأمر مثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط حتى حركوه والأنبياء عليهم السلام أرحم البرية فقال ما لكم يا بني؟ قالوا ألسنم قد علمت ما كان منا إليك وما كان منا إلى أخينا يوسف ، قال بلى ، قالوا أو لستما قد غفرتما لنا؟ قالوا بلى ، قالوا فان عفوكما لا يعني عنا شيئا إن كان الله لم يعف عنا ، قال فما تريدون يا بني؟ فالوانريد أن تدعو الله لنا ، فإذا جاءك الوحي من الله بأنه قد عفا عما قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا وإلا فلاقرة عين في الدنيا لنا أبدا ، قال فقام الشيخ فاستقبل القبلة وقام يوسف خلف أبيه وقاموا خلفهما أذلة خاشعين ، قال فدعا وأمن يوسف فلم يجب فيهم عشرين سنة ، قال صالح المري يخيفهم قال حتى إذا كان على رأس العشرين نزل جبريل عليه السلام على يعقوب عليه السلام فقال إن الله تعالى قد بعثني إليك بأمر قد أوجب دعوتك في ولدك وأن الله تعالى قد عفا عما صنعوا وأنه قد اعتقد موافقتهم من بعدك على النبوة . هذا الأثر موقوف عن أنس . ويزيد الرقاشي وصالح المري ضعيفان جدا ، وذكر السدي أن يعقوب عليه السلام لما حضره الموت أوصى إلى يوسف بأن يدفن عند إبراهيم وإسحق ، فلما مات صبره وأرسله إلى الشام فدفن عندهما عليهم السلام .

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ * وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ * وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿

يقول تعالى لمحمد ﷺ لما قص عليه نبأ إخوة يوسف وكيف رفعه الله عليهم وجعل له العاقبة والنصر والملك والحكم مع ما أرادوا به من سوء والملاك والاعدام هذا وأمثاله يا محمد من أخبار العيوب السابقة (نوحيه إليك) ونعلمك به يا محمد لما فيه من العبرة لك والاتعاظ لمن خالفك (وما كنت لديهم) حاضرا عندهم ولا مشاهدا لهم (إذ أجمعوا أمرهم) أي على إلقائه في الجب (وهم يكررون) به ، ولكننا أعلمناك به وحيا إليك وإنزالا عليك كقوله (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم) الآية وقال تعالى (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر) الآية إلى قوله (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) الآية ، وقال (وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا) الآية وقال (ما كان لي من علم بالملا الأعلى إذ يختصمون * إن يوحى إلا أنما أنا نذير مبين) يقول تعالى إنه رسوله وإنه قد أطلعه على أنباء ما قد سبق مما فيه عبرة للناس ونجاة لهم في دينهم وديارهم ومع هذا ما آمن أكثر الناس ولهذا قال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) كقوله (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) إلى غير ذلك من الآيات وقوله (وما تسألهم عليه من أجر) أي ما تسألهم يا محمد على هذا النصيح والدعاء إلى الخير والرشد من أجر أي من جمالة ولا أجره بل تفعله ابتغاء وجه الله ونصحا لخلقته (إن هو إلا ذكر للعالمين) أي يتذكرون به ويهتدون وينجون به في الدنيا والآخرة

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ * أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿

نخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكير في آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت ، وسيارات وأفلاك دائرات . والجميع مسخرات ، وكم في الأرض من قطع متجاورات ، وحدائق وجنات ، وجبال راسيات . وبحار زاخرات ، وأمواج متلاطحات ، وقفار شاسعات ، وكم من أحياء وأموات ، وحيوان ونبات ، وثمرات متشابهة ومختلفات في الطعوم والروائح والألوان والصفات فسبحان الواحد الأحد خالق أنواع المخلوقات ، المنفرد بالهوام والبقلاء والضمدية للأسماء والصفات ، وغير ذلك

وقوله (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال ابن عباس : من إيمانهم أنهم إذا قيل لهم : من خلق السموات ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا الله وهم مشركون به . وكذا قال مجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وفي الصحيحين : أن المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم : ليك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك ، وفي صحيح مسلم أنهم كانوا إذا قالوا ليك لا شريك لك قال رسول الله ﷺ « قد قد » أى حسب حسب لا تزيدوا على هذا ، وقال الله تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) وهذا هو الشرك الأعظم يعبد مع الله غيره كما في الصحيحين عن ابن مسعود قلت يا رسول الله : أى الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » وقال الحسن البصرى في قوله (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال ذلك المناق يعمله إذا عمل رياء الناس وهو مشرك بعمله ذلك يعنى قوله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) ثم شرك آخر خفى لا يشعر به غالبا فاعله كما روى حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن عروة قال : دخل حذيفة على مريض فرأى في عضده سيرا فقطعه — أو انزعه — ثم قال (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وفي الحديث « من حلف بغير الله فقد أشرك » رواه الترمذى وحسنه من رواية ابن عمر ، وفي الحديث الذى رواه أحمد وأبو داود وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرقى والتمائم والنوثة شرك » وفي لفظ لها « الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهب بالتوكل » ورواه الإمام أحمد بأبسط من هذا فقال حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى الجزار عن ابن أخى زينب عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت : كان عبد الله إذا جاء من حاجة فاتمى إلى الباب تنحج وبرق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه قالت وإنه جاء ذات يوم فتنحج وعندى عجوز ترقىنى من الحمرة وأدخلتها تحت السرير ، قالت فدحل فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطا فقال : ما هذا الخيط ؟ قالت : قلت خيط رقى لي فيه فأخذته فقطعه ثم قال إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرقى والتمائم والنوثة شرك » قالت : قلت له لم تقول هذا وقد كانت عني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودى يرقىها فكان إذا رقاها سكنت ، فقال إنما ذلك من الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقاها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولى كما قال النبي ﷺ « أذهب الباس ، رب الناس ، اشف وأنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما » وفي حديث آخر رواه الإمام أحمد عن وكيع عن ابن أبى ليلي عن عيسى بن عبد الرحمن قال دخلت على عبد الله بن عكيم وهو مريض نعوده فقيل له لو تعلقت شيئا ، فقال أتعلق شيئا وقد قال رسول الله ﷺ « من تعلق شيئا وكل إليه » ورواه النسائى عن أبى هريرة . وفي مسند الإمام أحمد من حديث عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ « من علق تميمة فقد أشرك » وفي رواية « من تعلق تميمة فلا تم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » وعن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه » رواه مسلم . وعن أبى سعيد بن أبى فضالة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه ينادى مناد من كان أشرك في عمل عمله الله فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » رواه الإمام أحمد . وقال أحمد حدثنا يونس حدثنا ليث عن يزيد يعنى ابن الهاد عن عمرو عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ

قال « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال « الرباء ، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جاز الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟ » وقد رواه إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن عاصم بن عمرو عن قتادة عن محمود بن لبيد به ، وقال الإمام أحمد حدثنا حسن أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا ابن هبيرة عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « من ردت الطيرة عن حاجته فقد أشرك » قالوا يا رسول الله ما كفارة ذلك ؟ قال « أن يقول أحدكم اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان العزمي عن أبي علي رجل من بني كاهل قال : خطبنا أبو موسى الأشعري فقال : يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل . فقام عبد الله بن حرب وقيس بن المضارب فقالا والله لتخرجن مما قلت أو لتأتين عمر مأذونا لنا أو غير مأذون قال بل أخرج مما قلت خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال « يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل » فقال له من شاء الله أن يقول فكيف تنقيه وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله ؟ قال « قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه » وقد روى من وجه آخر وفيه أن السائل في ذلك هو الصديق كما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي من حديث عبد العزيز بن مسلم عن ليث بن أبي سليم عن أبي محمد عن معقل بن يسار قال شهدت النبي ﷺ أو قال حدثني أبو بكر الصديق عن رسول الله ﷺ أنه قال « الشرك أخفى فيكم من ديب النمل » فقال أبو بكر وهل الشرك إلا من دعا مع الله إله آخر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشرك فيكم أخفى من ديب النمل » ثم قال « ألا أدلك على ما ينهد عنك صغير ذلك وكبيره ؟ قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك مما لا أعلم » وقد رواه الحافظ أبو القاسم البغوي عن شيبان بن فروخ عن يحيى بن كثير عن الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق قال : قال رسول الله ﷺ « الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل على الصفا » قال : فقال أبو بكر يا رسول الله فكيف النجاة والخروج من ذلك ؟ فقال « ألا أخبرك بشيء إذا قلته برئت من قلبه وكثيره وصغيره وكبيره ؟ » قال بلى يا رسول الله قال : « قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم » قال الدارقطني يحيى بن أبي كثير هذا يقال له أبو النضر متروك الحديث ، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي من حديث يعلى بن عطاء سمعت عمرو بن عاص سمعت أبا هريرة قال : قال أبو بكر الصديق يا رسول الله علمني شيئا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي قال « قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه » ورواه أبو داود والنسائي وصححه ، وزاد الإمام أحمد في رواية له من حديث ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي بكر الصديق قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أقول - فذكر هذا الدعاء وزاد في آخره - « وأن أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم » . وقوله (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) الآية : أي أفأمن هؤلاء المشركون بالله أن يأتيهم أمر يغشاهم من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم في قلبهم ما هم بمعمزين * أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم) وقوله (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون * أو آمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون * أفأمنوا مكر الله ؟ فلا يأتون مكر الله إلا القوم الخاسرون)

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين الإنس والجن أمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أى طريقته ومسلكه وسنته وهى الدعوة الى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين

وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى مادعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي ؛ وقوله (وسبحان الله) أي وأثره الله وأجله وأعظمه وأقدسه عن أن يكون له شريك أو نظير أو عدل أو نديد أو ولد أو والد أو صاحبة أو وزير أو مشير تبارك وتقدس وتنزه وتعالى عن ذلك كله علوا كبيرا (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء وهذا قول جمهور العلماء كإدلاله عليه سياق هذه الآية الكريمة أن الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات بني آدم وحى تشريع. وزعم بعضهم أن سارة امرأة الخليل وأم موسى ومريم بنت عمران أم عيسى نبيات واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب وقوله (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) الآية وبأن الملك جاء إلى مريم فبشرها بعيسى عليه السلام وقوله تعالى (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) وهذا القدر حاصل لمن ولكن لا يلزم من هذا أن يكن نبيات بذلك ، فإن أراد القائل بنبوتهم هذا القدر من التشريف فهذا لا شك فيه ويبقى الكلام معه في أن هذا هل يكفي في الانتظام في سلك النبوة بمجرد أم لا ؟ الذي عليه أهل السنة والجماعة وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسحاق الأشعري عنهم أنه ليس في النساء نبية وإنما فيهن صدقات كما قال تعالى محضرا عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) فوصفها في أشرف مقاماتها بالصدقية فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والاعظام فهي صديقة بنص القرآن . وقال الضحاک عن ابن عباس في قوله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) الآية أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم وهذا القول من ابن عباس يعترض بقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) الآية وقوله تعالى (وما جعلناهم جسدا لياأكلون الطعام وما كانوا خالدين * ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين) وقوله تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) الآية وقوله (من أهل القرى) المراد بالقرى المدن لأنهم من أهل البوادي الذين هم من أجف الناس طباعا وأخلاقا وهذا هو المعهود المعروف أن أهل المدن أرق طباعا وألطف من أهل بوادهم وأهل الريف والسواد أقرب حالا من الذين يسكنون في البوادي ولهذا قال تعالى (الأعراب أشد كفرا ونفاقا) الآية وقال قتادة في قوله (من أهل القرى) لأنهم أعلم وأحل من أهل العمود ، وفي الحديث الآخر أن رجلا من الأعراب أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناقة فلم يزل يعطيه ويزيده حتى رضى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد هممت أن لا أنهب هبة إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقيفي أو دوسي»

وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ قال قال الأعمش هو عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم حير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم» وقوله (أفلم يسروا في الأرض) يعني هؤلاء المكذبين لك يا محمد في الأرض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي من الأمم المكذبة للرسول كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها كقوله (أفلم يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) الآية فإذا استمعوا خبر ذلك رأوا أن الله قد أهلك الكافرين وبجى المؤمنين وهذه كانت سنته تعالى في خلقه ولهذا قال تعالى (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) أي وكما نجينا المؤمنين في الدنيا كذلك كتبنا لهم النجاة في الدار الآخرة وهي خير لهم من الدنيا بكثير كقوله (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا وبوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم لعنة ولهم سوء الدار) وأضاف الدار إلى الآخرة فقال (ولدار الآخرة)

كما يقال صلاة الأولى ومسجد الجامع وعام أول وبارحة الأولى ويوم الخميس . قال الشاعر :

أمدح فقصا وتدم عبسا * أالله أمك من هجين * ولو أقوت عليك ديار عبس * عرفت النل عرفان اليقين
﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنْ

الْقَوْمِ الْمَظْمُونِ ﴾

يذكر تعالى أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله في أحوج الأوقات إليه كقوله تعالى (وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) الآية وفي قوله (كذبوا) قراءتان إحداهما بالتشديد قد كذبوا ، وكذلك كانت عائشة رضی الله عنها تقرؤها ، قال البخارى حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى (حتى إذا استياس الرسل) قال قلت أ كذبوا أم كذبوا ؟ قالت عائشة كذبوا قلت فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم فما هو بالظن ؟ قالت أجل لعمرى لقد استيقنوا بذلك فقلت لها (وظنوا أنهم قد كذبوا) قالت معاذ الله تكن الرسل تظن ذلك بربها) قلت فهاهذه الآية ؟ قالت هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فظال عليهم البلاء واستأخروهم النصر (حتى إذا استياس الرسل) ممن كذبهم من قومهم وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم نصر الله عند ذلك حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعبة عن الزهري قال أخبرنا عروة فمات لها لعلها قد كذبوا مخففة ؟ قالت معاذ الله . انتهى ما ذكره ، وقال ابن جرير أخبرني ابن أبي مليكة أن ابن عباس قرأها (وظنوا أنهم قد كذبوا) خفيفة قال عبد الله هو ابن أبي مليكة ثم قال لي ابن عباس كانوا بشرائهم تلا (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) قال ابن جرير وقال لي ابن أبي مليكة وأخبرني عروة عن عائشة أنها خالفت ذلك وأبته وقالت ما وعد الله محمدًا ﷺ من شيء إلا قد علم أنه سيكون حتى مات ولكنه لم يزل البلاء بالرسول حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم . قال ابن أبي مليكة في حديث عروة كانت عائشة تقرؤها (وظنوا أنهم قد كذبوا) مثقلة من التكذيب وقال ابن أبي حاتم أنا يونس ابن عبد الأعلى قراءة أنا ابن وهب أخبرني سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال : جاء إنسان إلى القاسم بن محمد قال إن محمد بن كعب القرظي قرأ هذه الآية (حتى إذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) فقال القاسم أخبره عنى أنى سمعت عائشة زوج النبي ﷺ تقوله (حتى إذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) تقول كذبتم أتباعهم . إسناد صحيح أيضا . والقراءة الثانية بالتخفيف ، واختلفوا في تفسيرها فقال ابن عباس ما تقدم ، وعن ابن مسعود فإياه رواه سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله أنه قرأ (حتى إذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) مخففة قال عبد الله هو الذي تكره وهذا عن ابن عباس وابن مسعود رضی الله عنهما مخالف لما رواه آخرون عنهما . أما ابن عباس فروى الأعمش عن مسلم عن ابن عباس في قوله (حتى إذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم جاءهم النصر على ذلك (فنجى من نشاء) وكذا روى عن سعيد بن جبير وعمران بن الحارث السلسي وعبد الرحمن بن معاوية وعلى بن أبي طلحة والعمري عن ابن عباس بمثله وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا عارم أبو اليمان حدثنا حماد بن زيد حدثنا شعيب حدثنا إبراهيم بن أبي حمزة الجزري قال : سألت فتي من قريش سعيد بن جبير قال أخبرنا أبا عبد الله كيف هذا الحرف فأنى إذا أتيت عليه تمنيت أن لا أقرأ هذه السورة (حتى إذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال نعم حتى إذا استياس الرسل من قومهم أن يصدقوهم وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا ، فقال الضحاك بن مزاحم ما رأيت كاليوم قط رجلا يدعى إلى علم فيتلكأ لورحلت إلى اليمن في هذه كان قليلا ، ثم روى ابن جرير أيضا من وجه آخر أن مسلم بن يسار سأل سعيد بن جبير عن ذلك فأجابه بهذا الجواب فقام إلى سعيد فاعتقه وقال فرج الله عنك كما فرجت عنى وهكذا روى من غير وجه عن سعيد بن جبير أنه فسرها كذلك وكذا فسرها مجاهد بن جبر وغير واحد من السلف حتى إن مجاهدا قرأها (وظنوا أنهم قد كذبوا

بفتح الدال . رواه ابن جرير إلا أن بعض من فسرها كذلك يعيد الضمير في قوله (وظنوا أنهم قد كذبوا) إلى أتباع الرسل من المؤمنين ومنهم من يعيده إلى الكافرين منهم أى وظن الكفار أن الرسل قد كذبوا مخففة فيما وعدوا به من النصر ، وأما ابن مسعود فقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن فضيل عن حمش^(١) بن زياد الضبي عن عمير بن حزم^(٢) قال سمعت عبدالله بن مسعود يقول في هذه الآية (حق إذا استيأس الرسل) من إيمان قومهم أن يؤمنوا بهم وظن قومهم حين أبطأ الأمر أنهم قد كذبوا بالتحفيف . فهاتان الروايتان عن كل من ابن مسعود وابن عباس وقد أنكرت ذلك عائشة على من فسرها بذلك واتصرت لها ابن جرير ووجه المشهور عن الجمهور وزيف القول الآخر بالكلية وردة وأباه ولم يقبله ولا ارتضاه والله أعلم

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين (عبرة لأولى الألباب وهي العقول (ما كان حديثاً يفترى) أى وما كان لهذا القرآن أن يفترى من دون الله ، أى يكذب ويختلق (ولكن تصديق الذي بين يديه) أى من الكتب المنزلة من السماء هو يصدق ما فيها من الصحيح وينفى ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير (وتفصيل كل شيء) من تحليل وتحريم ومحجوب ومكروه وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات والإخبار عن الأمور الجليلة وعن الغيوب المستقبلية المحملة والتفصيلية والإخبار عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات وتنزهه عن بمائلة الخلوقات فهذا كان (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) تهتدى به قلوبهم من التغي إلى الرشاد ، ومن الضلال إلى السداد ، ويتنعمون به الرحمة من رب العباد ، في هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد ، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة ، يوم يفوز بالريح البيضاء وجوههم الناضرة ، ويرجع المسودة وجوههم بالصفقة الخاسرة . آخر تفسير سورة يوسف عليه السلام والله الحمد والمنة وبه المستعان

﴿ تفسير سورة الرعد وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدم في أول سورة البقرة وقد منا أن كل سورة ابتدئت بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن وتبيان أن نزوله من عند الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا ريب ولهذا قال (تلك آيات الكتاب) أى هذه آيات الكتاب وهو القرآن وقيل التوراة والإنجيل قاله مجاهد وقتادة وفيه نظر بل هو بعيد ثم عطف على ذلك عطف صفات فقال (والذي أنزل إليك) أى يا محمد (من ربك الحق) خبر تقدم مبتدؤه وهو قوله (والذي أنزل إليك من ربك) هذا هو الصحيح المطابق لتفسير مجاهد وقتادة واختار ابن جرير أن تكون الواو زائدة أو عاطفة صفة على صفة كما قدمنا ، واستشهد بقول الشاعر : إلى الملك القرم وابن الهمام * وليت الكنيئة في المزدحم وقوله (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) كقوله (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أى مع هذا البيان والجلاء والوضوح لا يؤمن أكثرهم لما فيهم من الشقاق ، والعناد والنفاق .

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي

(١) في نسخة ابن جرير جش (٢) في النسخة المكية جثامة وفي نسخة ابن جرير حذل بالذال والصواب الذي في التقريب أنه حزل بالزاي المعجمة .